

رَبِّهِمْ أَنْشَاءُ عَرَفَاسُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْفَرِ الْكِنَانِيِّ

(مولديات - ايسالاميات - اهنوانيات - منظومات علمية)

تأليف

العلامة المشرك الأديب

عبد الرحمن بن جعفر الكناني الحسني

١٢٩٧ هـ - ١٣٣٤ هـ

جمعه ورتبه وقدم له
الأستاذ الدكتور علي بن المنصور الكناني
المتوفى ١٤٢٢ هـ



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: **DĪWĀN ŠĀ'IR FĀS**
ABDUL-RAHMĀN BEN JA'FAR AL-KATTĀNI
(Poetical Works of
Abdul-Rahman Ben Jaafar al-Kattani)

Editor: Dr. 'Ali Ben al-Muntasir al-Kattāni

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 168

Year: 2006

Printed In: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: ديوان شاعر فاس عبد الرحمن بن جعفر الكتاني
(مولديات، إسلاميات، إخوانيات، منظومات علمية)

المؤلف: العلامة عبد الرحمن بن جعفر الكتاني الحسني

المحقق: الدكتور علي بن المنتصر الكتاني

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 168

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5092-8



9 782745 150929



منشورات محمد رجاوي بيروت



بيروت
بيروت
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م ١٤٢٧ هـ

منشورات محمد رجاوي بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الطريف، شارع البحري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٨ - ٣٦١١٣٥ (٩٦١ ١)

فرع عرمون، القبّة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١-٧٢٢٩٠

هاتف: ١١ / ١١ - ٥٨١٠٠٩٦١
فاكس: ٥٨١١٣٣ - ٥٨١٠٠٩٦١

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصحح

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وبعد؛ فيسعدني أن أقدم للنشر ديوان شاعر فاس، العالم الأديب المفتي؛ أبي
زيد عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني الإدريسي الحسني، المتوفى عن 37
سنة عام 1334، والذي جمعه له والدنا مفخرة الإسلام، وإمام الدعوة في العالم
الغربي، ورائد علمي الطاقة الشمسية، والأقليات، الأستاذ الدكتور علي بن محمد
المتنصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني رحمهما الله تعالى.

قال الشيخ الإمام أبو الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني في
كتابه "التاج المرصع بالجواهر الفريد في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد"
(1/ 121)، أثناء ترجمته لصاحب الديوان: "بلغ درجة الإمامة في علوم الفقه
والحديث والأدب، ومؤلفاته أدل دليل على ما أقول، وشعره الرائع يفاخر به
المغرب أئمة الأدب الأقدمين بالأندلس ومصر.. ولو عمر لكان أبرز علماء عصره!".

ومن هنا تكمن أهمية هذا الشاعر العالم، وأهمية الشعر الذي كتبه، والذي
جاء في فترة حاسمة من تاريخ المغرب، فترة دخول الاستعمار، وفترة الهجرة من
البلاد فرارًا بالدين، وهي أمور انعكست في مضامين شعره، فقد عكس ثقافة زمانه،
وعكس الوطنية الصادقة، والشوق إلى الهجرة ومقارعة المستعمر، كما عكس الحالة
العلمية التي عاش فيها، والقضايا الفقهية التي شغلت عصره.

يتضمن هذا الديوان مولديات كثيرة، تطرقت إلى مدح النبي الكريم صلى الله
عليه وسلم، ومدح ذريته الطاهرة، والشوق إلى المدينة المنورة، ولعل أهم تلك
القصائد تشطيره لقصيدة ابن جابر الأنديلي التي مطلعها:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقا فبالقرب من خير الورى نلتم السبقا
وكذلك ضمنه منظومات علمية، كمنظومته في النسب الكتاني وتراجم
أصحابه، والتي فاقت الخمسمائة بيت، ومنظومته في القبض في الصلاة. كما تضمن
شعره الإخوانيات، والتي تركزت في علاقته بالأعلام من أهل بيته، وبأعلام الزاوية
المعينية، خاصة شيخها الشيخ ماء العينين الشنقيطي، وتلميذه الشيخ أحمد بن
الشمس الشنقيطي، والتي تضمنت المدح والرثاء، والرسائل والعتاب، وتكمن
أهميتها كذلك في أن جل من كان يرأسهم هم أعلام الوقت في المشرق كالشيخ
جمال الدين القاسمي، وفي المغرب كمن ذكرنا وغيرهم.

كما تضمن الديوان، ألبازا فقهية ونحوية، ومقطعات حوت حكما وفوائد
تربوية وأخلاقية واجتماعية، لذلك صلح أن يتغنى بأشعاره، وأن تقدم للدراسة في
المعاهد العلمية المدرسية والجامعية، كمثال بارز على الشعر - خاصة المغربي -
في أوائل القرن العشرين الميلادي، تلك الفترة التي لم تنل حقها من الدراسة
والبحث.

ونظرا لموسوعية الشاعر العلمية، وحرية الفكرية، ونزعة الدينية والوطنية
الجياشة؛ فقد قدم كل تلك الميزات مادة ثرية لشعره، وذخيرة معرفية وجمالية جعلته
مميزا بين شعراء وقته، بل لا زالت بعض أشعاره يتغنى بها في الزوايا، أو تكرر
على الألسن.

وقد جمع مولانا الوالد - رحمه الله تعالى ومتعنا برضاه - هذا الديوان من
عدة مصادر ذكرها في مقدمته، فأحى به شاردها، وجمع متفرقها، وأحى صاحبها
الذي لم ينل ما يستحقه من التقدير بعد وفاته، وهو يتضمن عدة مؤلفات لصاحبه،
وهي:

- تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي في المدح النبوي.

- الحسام المنتضى المسنون، على من قال: إن القبض غير مسنون.

- الجوهر النفيس في النسب الكتاني ذي التقديس.

ليكون جمع بعض شارد مؤلفات الشيخ عبد الرحمن، والذي فقدت، ولم نعد
نقف حتى على بعضها، نظرا لتشتت كتبه، وضياع مكتبته. وقد كان أخبرني حفيده

الفقيه المسنن السيد نور الدين بن محمد الكامل بن عبد الرحمن الكتاني، حفظه الله، بأنه ورث مكتبة جده عن والده، وأنه باعها لابن عمه العلامة المدرس المشارك أبي النجيب محمد الفاطمي بن أحمد بن إدريس الكتاني رحمه الله، وإلى الآن لم أتمكن من الوقوف عليها، بالرغم من وقوفي على المكتبة المذكورة، يسر الله كل عسير.

وقد كنت من قبل جمعت للشيخ عبد الرحمن بن جعفر الكتاني كتابا وسمته بـ: "حوليات العلامة عبد الرحمن بن جعفر الكتاني"، كان جمعه من كناشته، ورسائله التي أرسلها لأخيه جد جدنا الإمام محمد بن جعفر الكتاني، وابن أخيه والد جدنا الشيخ محمد الزمزمي الكتاني، وهو نفيس للغاية، أقوم بتحقيقه الآن، يسر الله كل عسير بمثّه وكرمه.

وإن تعجب فعجب لمولانا الإمام الوالد، الذي كان مختصا في الطاقة الشمسية، بل يعد مقعد علمها، وكتبه تدرس باللغة الإنجليزية في مختلف دول العالم خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي نفس الوقت كان مختصا في علم الأقليات الإسلامية، بل يعد أول من بلورها كعلم، وكتبه تدرس في هذا المجال في مختلف الجامعات والمعاهد الدينية العالمية، خاصة الجامعة الإسلامية بكراتشي، وفي نفس الوقت - وبالرغم من ثقافته الفرنسية الإنجليزية المحضة - قام بخدمة التراث العائلي، والذي هو باللغة العربية، فأنجز وأفاد، وسبق الفحول، وحمل الراية، بحيث كل عمل في هذا النتاج، وخاصة ما نقوم به نحن وربّعنا إنما هو من بركات توجيهاته، ونتاج تعليمه وتدريبه، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والمرسلين الأخيار.

وقد كان رحمه الله تعالى جمع هذا الديوان المبارك منذ سنين عديدة، غير أنه شغلته الشواغل عن طبعه، حتى توفي دون ذلك، فوجدت لزاما علي إخراجّه، وتهيته للطبع وإبرازه، لأغني بذلك الأجر الكثير، وأفرح والذي في قبره، وأفرح عم والد جدي الإمام مولاي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني كذلك، وأفرح كل من كان له به سبب أو نسب.

فقمت بتصحيح الكتاب، وضبط الأشعار، ومقابلتها إن تيسر على أصولها بخط المؤلف، كما قمت بالتعليق إن اقتضى الحال، مع تذييل التعليق بلفظة:

مصحّح. لأميز تعاليقي عن تعاليق الشاعر، إذ كل تعليق بغير لفظة "مصحح"، إنما هو للشاعر رحمه الله. وقد بقيت بعض الأبيات غير موزونة، وأحسبها لا تزيد على الخمسة إلى العشرة في الديوان كله، فلم أصححها، نظرا لعدم وقوفي على أصولها، وأن تصحيحها يقتضي إعادة صياغة البيت أو الشطر، وهو الأمر الذي لم أجزه لنفسي.

كما قمت بعزو الآيات القرآنية الموجودة بالمتن، وبإضفاء اسم للديوان، وهو: "ديوان شاعر فاس عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: (مولديات. إسلاميات. إخوانيات. منظومات علمية)".

وفي الختام أحب التنبيه أن مؤلف هذا الديوان هو غير جدنا لوالدتنا الإمام علامة المغرب أبي هريرة عبد الرحمن بن محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، المتوفى رحمه الله ورضي عنه عام 1401، صاحب "من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر وجهودهم من أجل الصحوة الإسلامية بالمغرب"، وصاحب: "الأسرة الإسلامية"، وغير ذلك من المؤلفات.

رحم الله شاعرنا، ورحم الله مولانا الوالد، وأسكنهما فسيح الجنات، وبارك في جهودهما، وجعلها لوجهه خالصة، ولا حرما أجرهما وفضلهما وبركتهما بمنه وكرمه... آمين.

وكتبه: الدكتور محمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني

الرباط: 14 جمادى الأولى 1426

الموافق: 22 يونيو 2005.

مقدمة جامع الديوان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، القائل: "إن من الشعر لحكمة"، والهادي إلى سواء السبيل.

أما بعد؛ فإن في المكتبات الخاصة تراثا مهما لآباء وأجداد تركوا أوراقهم لأبناء جهلوها، إما لبعدهم عن الثقافة أصلا، أو لانتجاههم إلى لغة المستعمر وانقطاعهم عن لغة آبائهم وعلوم أجدادهم. وقد قال سيدنا الوالد العلامة الشيخ سيدي محمد المنتصر بن محمد الزمزي بن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني أطال الله عمره في إحدى منشوراته: "في بلادنا المغربية كنوز دينة قد تراكم عليها الغبار طبقا عن طبق". وقد اتهم المغاربة في الماضي والحاضر بزهدهم في علمائهم وعدم اهتمامهم بتراثهم...

ولقد حظيت ولله الحمد بوجود مكتبات عائلية في كل بيوتنا عند سيدي الوالد وجدي وأعمامي... فيها كنوز للعائلة لا توصف، ووثائق تاريخية فريدة، فكنت بادئ ذي بدء، رغم أنني ممن اتجه إلى العلوم العصرية والدراسات الهندسية، أقرأها بدافع حب الاستطلاع، ثم أصبحت أنكب عليها وأتعرف على مخابثها.

فكان من بين الشخصيات العائلية التي لمحت عبقريتها في كتاباتها، ولاحظت كثرة أشعارها: عم جدي العلامة سيدي عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني، فتاقت نفسي إلى إخراجه من غبار النسيان، وجمع المتشتت من أشعاره في ديوان كامل، وترجمة حياته، حتى لا يضيع تراث علم من أعلام المغرب البررة، وشاعر من شعرائه المجيدين، الذين عاشوا في فترة من فترات تاريخ المغرب الصعبة. وهكذا كان الدافع لتخريج هذا الديوان.

وسأفصل في هذه المقدمة حياة الشاعر ومناخه العائلي والاجتماعي، ومقتطفات من نثره. ثم أعطي وصفا لديوانه مقتضبا، وأصف ينابيع جمعه وكيفية تربيته. نطلب من الله التوفيق والسداد، جعل الله كل أعمالنا لمرضاته وعمنا بفضله وإحسانه... آمين.

1. تعريف بالشاعر

ولد سيدي عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني ليلة الأحد قبيل فجر [1] يوم 28 محرم الحرام عام 1297هـ بدار والده بزقة الرطل بفاس المحروسة. ولد في بيت اشتهر بالعلم والشرف وخلاصة السلالة النبوية الإدريسية، وترعرع في مناخ دين وعلم وأدب.

فوالده سيدي جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني هو الشيخ الإمام على الأعلام وشيخ مشايخ الإسلام، وقدوة الأنام، ومرجع الخاص والعام، المفرد الجامع، المشارك في أسباب الفنون، المثابر على إحيائها ونثرها إلى المنون، الصادق في محبة سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان رحمه الله مدرساً في جامع القرويين ومستشاراً للسلطان الحسن الأول، إماماً في الفقه والحديث، صنف التصانيف العديدة، وألف التأليف المفيدة.

وأم سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: هي الشريفة الصالحة السيدة فاطمة بنت سيدي أحمد بن أيوب القصري. وكان وحيد أمه وأصغر أبناء والده، بينه وبين والده 25 سنة.

ولد سيدي جعفر بن إدريس الكتاني سنة 1245هـ وتزوج في 8 شوال عام 1365هـ بابنة عمه الشريفة السيدة كنزة بنت سيدي إبراهيم بن محمد الزمزمي الكتاني، فرزق منها بجدة والدنا سيدي محمد بن جعفر الكتاني، الإمام الشهير ذي التصانيف العديدة التي تزيد على السبعين، منها كتاب "سلوة الأنفاس" وغيره. والفقيه سيدي الحسين، والسيدة أم الغيث.

وتوفيت السيدة كنزة في 16 شوال سنة 1280هـ فتزوج سيدي جعفر بالشريفة السيدة راضية بنت سيدي محمد بن الطيب الصقلي، فرزق منها بالعلامة الأديب الشاعر الفقيه سيدي أحمد، وبالشاعر البارع سيدي عبد العزيز، وبالسيدة مريم. فيكون لشاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني أربعة إخوة، كلهم من العلماء العاملين، وأختان، يكبره كبيرهم سيدي محمد بـ 24 سنة.

نشأ مولاي عبد الرحمن في حجر والديه في عفاف وصيانة ومروءة وديانة، مصاناً من الأغيار، متوجّهاً بتاج الوقار. وكان رحمه الله ملازماً لوالده، باراً به كل

البرور، وكان لوالده به اعتناء خاص وابتهاج وسرور. فكان يغني له وهو صغير ويقول فيه هو وأخيه عبد العزيز مداعبا:

وحياتك ربنا يا عزيز إن عبد العزيز عندي عزيز
وأعز وأعلى منه وأعلى بيقين عبد الرحمن الإبريز [2]
فأطل رب عمره في هناء وتقى وللعلم منه تطريز

قرأ سيدي عبد الرحمن أولا القرآن، ثم شرع في تعلم العلوم محملا لمنطوقها والمفهوم. وكانت قراءته على والده الذي أجازته، وعلى غيره من كبار العلماء كالشيخ ماء العينين الذي أجازته كذلك بالإجازة العامة في العلم الظاهر والباطن، وسيدي أحمد بن الخياط، ومولاي عبد المالك العلوي الضرير، وغيرهم من الشيوخ الأجلة. وأكثر قراءته رحمه الله كانت على أخيه الأكبر سيدي محمد، فقرأ بين يديه في كل ما قرأه القليل والكثير. وقد رقي إلى الرتبة الثالثة من رتبة العلماء في شوال عام 1321، ثم أخذ في التدريس فأجاد وأفاد، كما استفاد. وحرر وهذب ونقح ورتب، مع حسن معرفة بالفقه والحديث والآثار، والنحو والفقه والأدب... وغيرها من العلوم الغزار.

كان لمولاي عبد الرحمن ذكاء مفرط وجودة قريحة وثبت، ونجاسة تامة، وذهن ثاقب، وفهم مصيب وفكر صائب، وكانت له سرعة كشف عند المطالعة، وتوفيق للمطآن وحسن خط وضبط، ورواية ودراية وأدب غض. فكان من العلماء المتقين، والأدباء الورعين. وكان ذا حياء ومروءة، ووقار وسكينة، وخلق وأناة، وحب للخير وأهله.

أما وصفه؛ فكان رحمه الله عربي الشكل، أبيض، للطول أقرب، متصل أسوده، قائم الأنف، محوجب، لركة الأطراف والأسالة.

وقد ألف سيدي عبد الرحمن تأليف رائقة محررة فائقة، منها: حاشية على شروح الأزهري للأجرومية، وتأليف في جموع عبد، وكتاب "كشف النقاب عن موافقة سيدنا عمر بن الخطاب"، وتأليف فيمن أردفه النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، وتأليف فيمن بدل صلى الله عليه وسلم أسماءهم من الصحابة. وقد راجع كتب أبيه وأخيه سيدي محمد كما جمع لوالده فهرسته المسماة "إعلام أئمة الأعلام

وأساتيدها بمالنا من المرويات وأسانيدها".

وكان لمولاي عبد الرحمن مراسلات ومناظرات مع أدباء عصره جاءت غاية في البلاغة، كما أن له مراسلات مع أخيه سيدي محمد، ومع ابن أخيه جدنا محمد [3] الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني إبان إقامتهما بالشرق، أتى فيها بالأخبار المفصلة عن الأوضاع الجارية في المغرب. كما أن له أشعارا جمّة هي مضمون هذا الكتاب.

تزوج مولاي عبد الرحمن في سن مبكرة بابنة عمه مولاي أحمد بن إدريس الكتاني فرزق منها بثلاثة أبناء: سيدي محمد وسيدي إدريس وسيدي الطيب. وفي سنة 1321 هـ حج أخوه سيدي محمد ومعه ابنه سيدي محمد الزمزمي، جدنا، فقام سيدي عبد الرحمن بمهام بيت أخيه تحت إشراف والده.

وسرعان ما تبدلت العيشة الهنية بالمصائب والأهوال في حياة شاعرنا الخاصة وفي أهله وفي الحياة العامة. فابتدأت المصائب ب وفاة والده سيدي جعفر بن إدريس الكتاني، الذي توفي ليلة السبت بعد العشاء بساعة 22 شعبان عام 1323 هـ، فذهب إلى الرفيق الأعلى أقرب خلق الله إليه، الذي كانت تربطه به روابط البنوة والعلم، والذي كان يقوم له مقام الصديق والمريد والمعيد. فورث محل والده في نفسه وعطفه أخوه الأكبر سيدي محمد.

غير أن الكوارث لم تكن إلا في بدايتها إذ توفيت في شهر ربيع الأول عام 1324 هـ زوجته وابنة عمه وأم أولاده، فتركت له ثلاثة أبناء صغارا: سيدي محمد وسيدي إدريس وسيدي الطيب.

ثم توفي أخوه وصديقه وزميله في الدراسة سيدي عبد العزيز في الساعة الواحدة من ليلة ثالث ربيع النبوي عام 1325 وسنه لم تزد على الثلاثين سنة إلا بثلاثة شهور، فترك يتيمين صغيرين وأرملة في عمر الزهور وهي السيدة فاطمة بنت مولاي أحمد بن إدريس الكتاني أخت زوجة شاعرنا المتوفاة في السنة التي قبلها.

ثم اضطربت الأحوال في المغرب بسبب استيلاء المستعمر الفرنسي الظالم على أطراف البلاد، وتداخله في السلطة المركزية. فعزم أخوه الأكبر سيدي محمد - بعد محاولة منه لإصلاح الأحوال - على الهجرة إلى المدينة المنورة، فترك المغرب بعياله في 17 جمادى الأولى عام 1325 هـ. وهكذا بعد أن كان البيت عامراً والحياة

هنيئة تحت رعاية الوالد، توفي الوالد والأخ والزوجة وتيتم الأولاد وهاجر الأخ الأكبر واضطربت الأحوال في البلاد، وكثر الغلاء وانقلبت الحياة من رغد إلى عناء، ومن غنى إلى فقر، ومن فرح إلى حزن[4].

تزوج سيدي عبد الرحمن بعد وفاة زوجته الأولى بالشريفة السيدة فاطمة بنت سيدي محمد بن الخضر العراقي التي ولدت له بعد ذلك من الأبناء ثلاثة سيدي المهدي وسيدي عبد الله الكامل وسيدي محمد العزيز، ومن البنات السيدة فاطمة.

وفي بحر سنة 1325هـ نجحت الثورة ضد السلطان عبد العزيز، وبائع أهل المغرب عوضا عنه أخاه السلطان عبد الحفيظ، وكان لابن عمه شاعرنا وابن عمه الإمام النابغة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني (وأمه هي السيدة فضيلة بنت سيدي إدريس بن الطائع الكتاني) دور كبير في هذه الأحداث. فاستبشر أهل المغرب خيرا وأملوا في إيقاف تعدي المستعمر الفرنسي وطرده من المناطق المغربية التي استعمرها. فرجع سيدي محمد بن جعفر الكتاني من المهجر بعياله، ودخل فاسا في أواخر شهر شوال عام 1326هـ.

غير أنه سرعان ما تحولت الآمال إلى خيبة، وانقلب الجهاد إلى حروب أهلية انتقامية، وتواطأت السلطة مع العدو، فأدى ذلك إلى محنة أبناء عم شاعرنا، إذ زج بهم السلطان عبد الحفيظ في السجون وقتل كبيرهم الشهيد الشيخ الإمام سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، ابن عمه شاعرنا، الذي استشهد بعد طلوع شمس يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني عام 1327هـ عن سبع وثلاثين سنة. فأثر ذلك تأثيرا بالغا في كل أعضاء العائلة الكتانية. فعمل أخو الشاعر الأكبر سيدي محمد على تطويق آثار هذه المحنة بالمفاوضة مع السلطان والتي هي أحسن، ثم عزم بعد ذلك على الهجرة إلى المدينة المنورة. فترك المغرب في هجرته الثانية مع عياله في أول شعبان عام 1328هـ.

وبعد ذلك تتابعت الأحداث بسرعة، فدخل المستعمر الفرنسي مدينة فاس سنة 1329هـ فضاع استقلال المغرب لأول مرة في تاريخه، ووقع السلطان عبد الحفيظ معاهدة الحماية مع الفرنسيين في 11 ربيع الثاني عام 1230هـ، وكان سيدي عبد الرحمن يكتب بتفاصيل الأحداث إلى أخيه سيدي محمد بالمدينة المنورة. وكان دائما يؤمل أن المجاهدين المغاربة سينجحون في إشغال نوايا المستعمر. لكن سرعان

ما تبين لشاعرنا أن تلك الآمال إنما هي أوهام، فعزم على الهجرة بأولاده واللاحق بأخيه في المدينة المنورة سنة 1330هـ. فساعده أخوه بمصروف السفر[5].

لكن معوقات عائلية كانت دائما تؤجل تلك الرحلة. ثم انشغل سيدي عبد الرحمن بمواساة أخيه سيدي الحسين في مرضه الذي توفي منه صبيحة يوم الأربعاء 29 رجب عام 1332هـ، قبل الشروق بمدينة فاس. فأخذ يتأهب للرحيل إلى المدينة المنورة، غير أن الحرب العالمية الأولى قامت فانقطعت السبل وأعيق عن الهجرة. فأصبح شاعرنا في ألم شديد وكدر عميق.

وفي 26 ذي القعدة الحرام سنة 1333هـ سافر سيدي عبد الرحمن من فاس إلى مراكش ونواحيها، فرجع من سفره فاتح صفر سنة 1334هـ شاكيا بقذفة الصدر بسبب سقوطه على صدره من مركوبه الذي قدم عليه من سفره، وبقي كذلك إلى يوم الجمعة 9 صفر حيث توفي في الساعة مساء، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس، ودفن بخارج باب الفتوح في قبة سيدي الدراس بن اسماعيل عند رأسه. وكان سنه رحمه الله لا يزيد على 37 سنة.

وعندما قربت وفاته أوصى رحمه الله، لولده الأكبر سيدي محمد على أشقائه سيدي إدريس وسيدي الطيب، ولزوجته السيدة فاطمة العراقية على أولاده منها: سيدي المهدي وسيدي عبد الله الكامل، وسيدي محمد العزيز، والسيدة فاطمة. والكل بإشراف الحاج إدريس بن محمد الحلو وبتعريف أخيه الوحيد الباقي في المغرب مولاي أحمد بن جعفر الكتاني، وابن عمه مولاي عبد الكبير بن هاشم الكتاني وأداء القاضي سيدي محمد بن رشيد العراقي. رحم الله شاعرنا وبارك في ذريته.

وفي فاتح سنة 1407هـ أي بعد وفاة سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني بحوالي 74 سنة يعد أحفاد سيدي عبد الرحمن 17 ذكرا، 16 من الأحفاد و5 من أبناء الأحفاد، وقد توفي الآن جميع أبنائه رحمهم الله، أولهم: سيدي إدريس الذي توفي سنة 1360هـ والذي انقطع عقبه بعد وفاة ابنه الوحيد العالم الفقيه سيدي الصادق بن إدريس الكتاني مؤخرا. وتعيش ذرية سيدي عبد الرحمن الكتاني كلها اليوم في مدينة فاس، حفظهم الله جميعهم، وأدام العلم فيهم وفي أبنائهم.

ولقد ترجم لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني أخوه سيدي محمد في كتابه

"النبهة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية[6] رافعة"،
الذي وصفه بـ "الفقيه العلامة الأرقى، الراقي في سماء العز والمجادة مرقى،
الأديب الشاعر، ذو الذكاء والنبيل الظاهر".

كما ترجمه العلامة سيدي محمد الطاهر بن الحسن الكتاني في كتابه "بهجة
البصر بذكر بعض أعيان القرن الرابع عشر" ونعته بـ "الفقيه النبيه، الضابط الحازم
النزيه، المشارك الحاذق اللبيب، الطالب الصادق الأديب".

وترجمه العالم الجليل الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "ترقية
المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين" وقال عنه: "صديقنا
ورفيقنا في الرواية، العلامة النحرير، صاحب الخلق والأناة وحب الخير وأهله، إلى
سرعة كشف عند المطالعة، وتوفيق للمظان وحسن خط وضبط، ورواية ودراية وأدب
غض".

ثم ترجمه العالم الجليل النسابة سيدي عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه
"الشكل البديع في النسب الرفيع" وقال: "وكانت بيني وبينه محبة عظيمة
ومكاتبات".

وترجمه ابنه العالم الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني وقال
عنه: "الفقيه، العالم العلامة الوجيه، الخطيب الأديب النزيه".

وترجمه سيدي محمد الغيث بن الشيخ ماء العينين الشنقيطي في "ديوان
الأبحر المعينية في الأمداح المعينية"، وقال عنه: "أديب أقرانه، ولبيب صحبانه،
العالم الفقيه الشريف، والحب المنيف" وقال: "كان من العلماء المتقين، والأدباء
الورعين، وله مشاركة جيدة في أكثر الفنون المعقولة والمنقولة، وتأليفه حسنة،
وأجوبته عن المسائل مستحسنة. وله ذكاء مفرط وجودة قريحة وثبت...".

2. مقتطفات من نثره

ونأتي فيما يلي ببعض مقتطفات من نثر سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني،
أولها: حادثة وقعت بفاس كتبها في رسالة منه إلى أخيه سيدي محمد بالحجاز في
تمم ذي الحجة الحرام عام 1321هـ، قال:

"ومما وقع عندنا بفاس: أن أولاد قنديل بن زاكور كانوا مشغولين في الطالعة بما لا يعني من شرب الخمر والزنى وغير ذلك. ولهم أتباع وأصحاب كذلك، ثم إنهم خرجوا في بعض الليالي وهم سكارى فلقوا في الطريق شريفا علويا فضربوه بالسكين وبقي هناك ملقى. ولما أفاقوا من سكرهم أدخلوه [7] لدارهم، وأتوا بمن يداويه، ثم إنه مات من ذلك، وأعطوا لمقدم الحومة دراهم وللبيات كذلك، وأخرجوه ليلا إلى غرفتهم وطرحوه منها إلى خارج باب (عجيسة) لكونها مجاورة له، وذهبوا صباحا وحفروا له قبرا ودفنوه به ووضعوا فوقه كلبا لئلا يعرف. ولما طالبهم العلويون بإحضاره أنكروا ذلك كله. ورفع الأمر للمخزن، فحبس الجميع، وبعد الضرب أقروا به. فذهب القائد وحفروا عليه وأخرجوه. ثم بعد ذلك استدعى السلطان العلماء والقضاة للحكم في المدعى عليهم، وقام العلويون في ذلك على ساق الجد، ولم يقبلوا دية ولا غيرها. وحكم العلماء بقتل المدعى عليهم. وقد قتل واحد من أولاد قنديل المذكور يوم الاثنين بباب الشريعة بعدما انحشر الناس أفواجا لرؤيته. فأتي به مقيدا مسلسلا وضرب بثلاث رصاصات، وخير السلطان العلويين في صلبه أو إعطائه لأهله، فاختاروا إعطائه لأهله، فأخذوه وذهبوا به إلى باب الفتوح ودفنوه هناك خوفا من أن يخرجهم العلويون ويحرقوه. وفرح الناس بذلك غاية حيث صارت تقام الحدود. نسأل الله أن يؤيد هذا الدين المحمدي وينصره إنه سميع مجيب".

والمثال الثاني من نثر سيدي عبد الرحمن: ما كتبه في رسالة لأخيه سيدي محمد أرسلها إلى المدينة المنورة بتاريخ يوم الخميس 28 شوال عام 1325هـ يصف فيها الأحوال بعد خروج السلطان عبد العزيز من فاس عند عزله، قال:

"حالتنا الآن بين خوف ورجاء: تارة نسمع الأخبار السارة فنرجو وتارة نسمع خلافها فنخاف. وقد عُزل الجباص وجُعِل مع الطريس بطنجة، ومن الناس من يقول: إنه عزل الطريس واستقل الجباص بالأمر. ومنذ خروج السلطان والطريق إلى الرباط سالمة. وكان شرع في نقل ما هنا من المدافع والعدة والقرطاس إلى الرباط، فذهبت القافلة الأولى والثانية والثالثة. ولما خرجت القافلة الثالثة تعرّض لها عدد من الفرسان، فنهبوا وأخذوا منها نحو الأربعين بغلة بأحمالها، والباقي رد لفاس. ووقع بينهم قتال مات فيه من الفريقين، ولم يبق أحد يقدر على حمل شيء إلى المخزن للرباط، لأنهم لا يتعرضون لحمار ولا لجَمَّال، بل لما هو لجهة المخزن

فقط. والحاصل: قد انقطع عن المخزن ما يصله من هنا".

"وهذه المرة لم يقع بين الشاوية والفرنسيس قتال، بل وجه المخزن من الرباط [8] محلة لقتالهم، فرجعت منكسرة. وممن خرج بها من مشاهير القواد: عبد الكريم ولد أب محمد وولد بوشتي بن البغدادى وابن العربي. والحاصل: هزموا هزيمة شنيعة وتفرق بسببها من كان معهم من القبائل، ورجع كل واحد إلى محله، ومن الغد خرج لهم الفرنسيين من الدار البيضاء لأنه كان - فيما يقال - تعاهد مع المولى عبد العزيز على ذلك، فتلقوه على العادة من غير مبالاة بمدافع ولا غيره، بل أقبلوا إليه يزفون، ونصرهم الله عليه نصرا عزيزا، وبقي بيدهم من أسارى اللعين (أي: الفرنسيين) فيما أخبر به بعض من كتب إلى فاس، ستمائة وسبعون، وفي كتاب آخر مائتان وسبعون. وبالجمل فمزية ساداتنا الشاوية لا تنكر، وقدمهم على رقبة جميع أهل المغرب، جازاهم الله عنا خيرا، وقواهم وأعانهم وأمدهم بروح منه، آمين. وكذلك الحرب على ساق بنواحي وجدة مع اللعين بدد الله جموعه. ويقال: إنهم أخرجوه منها، إلا أنه لا تحقيق بذلك، والمتحقق هو مقاتلتهم معه، ونصرهم الله عليه. زاد الله في مددهم وأعانهم على ما هم بصدده".

"وأما أبو حمارة فلا زال بمحله كأنه غير موجود، ومحلة المخزن التي كانت بوجدة مقابلة له قدمت على المخزن للرباط لاحتياجه إلى من يعينه ثم. فيقال إنه في هذه الأيام يتهاى للحركة لفاس، وقد تحقق الناس أنه فتان لا غير، وأنه من ناحية الفرنسيين حيث غرض الطرف عنه ولم يقم لقتاله. وأمس تاريخه قدم صاحبنا الشيخ أحمد بن الشمس على فاس من رباط الفتح، وسأله عن الشيخ ماء العينين فذكر أنه تركه بمراكش. والغالب عليه أن يكون سافر منها عقب عيد الفطر. وهو يقرئكم السلام وهو بخير وعلى خير. والناس يتعجبون منه كيف أتى من مراكش لرباط الفتح ولم يحصل له من ناحية المخزن مكروه. ولا عجب!، فإن المخزن هنا في هذه الأيام لم يبق له ولا بد كبير أمر، وإنما هو يصانع ويداري خوفا على نفسه".

والمثال الثالث نأتي به مقتطفا من رسالة كتبها لأخيه سيدي محمد إلى المدينة المنورة يتحرق فيها على أوضاع المغرب وتشتت شمله، وذلك في شوال عام 1329هـ يقول: [9]

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلنى الله على سيدنا محمد وآل وسلم:

يا من تَرَحَّل، فالنسيم لأجله يشتاق إن هبَّت شذا رِيَّاهَا
تحيا النفوس إذا بعثت رسالة فإذا كتبت اقرأ: ومن أحيائها
سيدي!، بأيّ لسان أخاطب حضرتك، وبأيّ وصف أصف خلالك الكريمة
وطلعتك، بروحي الوداد المحكم إنني لازلت كما تعلم:
أبدًا تحن إليكمُ الأرواح ووصالكم ريحانها والراحُ

فكيف تحصل السائمة والملل من خطاب تلك الحضرة، أو يمرّ هذا ولو في
عالم المثال على فكرة؟! فإن جنابكم الكريم، خطابكم الفخيم غاية السؤل ومنتهى
الأمل، ولا يشغلنا عنه بحمد الله قول ولا عمل. غير أن العوارض الوقتية لا تخفى،
والأمور المنغصة للبال كثيرة لا أطيق لها وصفا. فوالله إنا لا نطيق سماعها أصلا،
فضلا عن أن نكتب فيها فصلا. فأها على انتشار هذا العقد الثمين!، وآها على جهل
الأمة المغربية وتفرق كلمة المسلمين!، عَدَمَ الناصر والمعين!، ولم يبق إلا ما يكدر
الماء المعين!. فلو أن القبائل اجتمعت وكانت كلمة واحدة على العدو اللعين،
لحصل النصر إن شاء الله للمسلمين!، ولكن كل قبيلة تجلس في محلها، والعدو
ينازل كل قبيلة على انفرادها. فقصارى من يدعي منهم النجدة والشجاعة: أن يقاتلوه
يومًا أو يومين، ثم يدخلون في طاعته صاغرين، قابلين لجميع ما يشترطه عليهم!،
والأمر لله!.

هذه قبيلة آيت يوسي وآيت سَعْرُوشَن قاتلوه في هذه الجمعة وقتل من الفريقين
عدد كثير، ولا سيما من العدو، فقد ضاعت له أعيان، ويوم تاريخه ورد الخبر بأنهم
ذبخوا عليه فلم يقبل لهم إلا أن يأتوه بالسلاح. والله أعلم بحقيقة الحال!. ولا حول
ولا قوة إلا بالله!.

وقد وصل السلك التلغرافي من مكناس إلى دارد ببيغ، وقد كنا قدمنا لكم
الإعلام بوصوله إلى مكناس من الدار البيضاء وعلى طريق زعير وزمور. كما أنه وصل
إلى فاس أمس تاريخه منطاد طائر في الهواء يحمل عسكريين من فرنسا، طار من
الدار البيضاء فوصل لمكناس في ساعة ونصف، ومن الغد طار منه لفاس فوصل في
نصف ساعة، وقيل: إنه يمر من هنا إلى آيت يوسي".

والمثال الرابع: نقطفه من رسالة بعثها سيدي عبد الرحمن بتاريخ 12 ربيع
[10] الثاني عام 1330هـ، من فاس إلى المدينة المنورة، إلى ابني أخيه جدنا سيدي

محمد الزمزمي وصنوه سيدي محمد المكي، قال فيها :

"أرى أنه حصل لأهل المغرب انتعاش في الجملة، ففي هذه الجمعة، والتي قبلها، وقع القتال بنواحي صفر ولما علمت فرنسا باجتماع القبائل هنا، سافروا بمن كان هنا من عسكرهم وعسكر المسلمين الذي نظموا هنا. ولازال القتال بينهم إلى الآن، والنصر للمسلمين. وقد كانت البلاد عندنا في الجمعة الماضية فيها فزع، فكانت الأبواب تصبح مسدودة، والمواشي لا تخرج للرعي خوفا من النهب، حتى تبين أن القبائل اصطلحوا على صلاح الطريق وعدم التعرض لمسلم، وإنما مرادهم العدو اللعين. وجميع القبائل التي بين فاس وتازي كلها مع البرابر كلمة واحدة، وكذلك زُمور لازالوا على قتالهم. وشاع يوم تاريخه أن الزياني⁽¹⁾ غنم غنيمة كبيرة من العدو. والحاصل؛ البهلاء (أي: البلهاء) مثلي لازالوا يترجون حصول أمر ما، والغير عنده هذا من المحال..."

"قبل هذا بأيام قدم المقرري وأحد وزراء فرنسا، واهتبل لدخولهما غاية الاهتبال، وسدت الأسواق. ولم ندر ما فعل الجنب الحفيظي، غير أنه يتجهز للسفر إلى الرباط، ويكون خروجه في أول الشهر الداخل مع نفر يسير من الكتاب والوزراء وغيرهم، ومن الرباط يقال إنه يسافر لباريز".

"أمس تاريخه وقع ازدحام في سوق العطارين بين جبلي ونصراني، فضرب الجبلي النصراني بسكين على وجهه حتى سال دمه وفر للضريح الإدريسي. فجاء الزرواطي⁽²⁾ وأخرجه منه إلى سيدي فرج⁽³⁾ لزعمه أنه أحرق، ولا أدري ما آل إليه أمره. أما أرباب الحوانيت لما رأوا ما ذكر سدوا حوانيتهم وذهبوا خوفا من أن تلحقهم عقوبة في ذلك. فلما جاء الزرواطي أمرهم بفتح حوانيتهم وقبض منهم المخازنية⁽⁴⁾ بليوننا من كل حانوت سخرة..."

والمثال الخامس: من رسالة كتبها سيدي عبد الرحمن من فاس إلى المدينة

(1) محمد بن حمو الزياني من المجاهدين الكبار ضد الاستعمار الفرنسي.

(2) بمعنى الشرطي.

(3) أي: مستشفى المجانين.

(4) أي: الشرطة.

المنورة لأخيه سيدي محمد بتاريخ 19 ربيع الأول عام 1331 يقول فيها:

"وتالله إنا لا عزم لنا على المقام في هذه البلاد، مع ما حصل بها من [11] احتلال الأعاد، ولا شغل لنا إلا التضرع إلى عالم السرائر، واللهج بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: 75] وما أوجب تأخرنا إلا عدم اليأس من هلاك العدو اللعين، وانتظار الفرج ممن يقول للشيء: كن فيكون، ورؤيتنا عدم نجاح شيء من الأمور التي فيها يسعى، فلا يمضي لما يحدثه أيام قلائل حتى تنعدم أصلا وفرعا، واتفاق كلمة البر والفاجر على قرب تدميره، وخروجه من هذه البلاد واختلال تدبيره".

والمثال السادس: من رسالة كتبها سيدي عبد الرحمن من فاس إلى المدينة المنورة لأخيه سيدي محمد بتاريخ يوم الجمعة 28 جمادى الأولى عام 1332هـ قال فيها:

"فغير خاف على سيدي شدة اشتياقنا إليكم، وكلفنا على القدوم عليكم، وهذه مدة مديدة وسنون عديدة ونحن نكاتب جلالتم الكريمة عن عزم أكيد، وشوق مديد، وفي كل وقت نترجى تحسين الحال واتساعه، ونسأل الله تعالى تيسير ما نحتاج إليه في ذلك من البضاعة. والأقدار إلى الآن غير مساعدة، وفي كل وقت يشتد الحال عما كان عليه قبل، حتى إنه كان فيما سبق ربما يوجد عندنا بعض دراهم وعروض يتحصل فيها شيء، وهذه السنون المارة قد حطت كل شيء، وركبنا ديون، ولم يبق غير محل القرار، وما لا مندوحة لنا عنه من أثاث البيت، ولم يبق لنا قوة على المقام هنا أصلا، وكادت أن تفنى قوتنا، وضعف جسدنا، وذلك كله من هموم استيلاء العدو، وما يصدر منه، والأمور لله...".

3. ديوان سيدي عبد الرحمن الكتاني

جمعت ديوان سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني من ثلاثة مصادر مهمة، أهمها:

- كناشة المؤلف التي هي في ملك سيدنا الوالد. وهذه الكناشة هي بخط سيدي عبد الرحمن نفسه، وبها مجموعة كبيرة من أشعاره التي أوردناها هنا.

- أما المصدر الثاني: فهو من كناشة مولانا الجد سيدي محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني التي أتى فيها بكثير من أشعار المؤلف التي لم تكن في الكناشة .

- والمصدر الثالث هو ما وجدنا في مكتبة سيدنا الوالد العلامة سيدي محمد المنتصر بن محمد الزمزمي [12] ابن محمد بن جعفر الكتاني من أشعار سيدي عبد الرحمن أما بخط يده أو في الكتب والمخطوطات المختلفة أو في مراسلات الشاعر مع أخيه وابن أخيه أو مما جمعه سيدنا الوالد نفسه، أو ما طبع على المطبعة الحجرية من أشعار المؤلف.

وهكذا كان مجموع ما جمعناه من أشعار المؤلف 1950 بيتا قسمناها إلى عشرة فصول وهي:

الفصل الأول: تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي	132 بيت
الفصل الثاني: الحسام المنتضى المسنون	130 بيت
الفصل الثالث: الجوهر النفيس في النسب الكتاني	601 بيت
الفصل الرابع: الأمداح النبوية	163 بيت
الفصل الخامس: في والده وأقربائه	180 بيت
الفصل السادس: في أخيه سيدي محمد	132 بيت
الفصل السابع: في الشيخ ماء العينين	205 بيت
الفصل الثامن: في الشيخ أحمد الشمس	100 بيت
الفصل التاسع: في المحبة والحكم	128 بيت
الفصل العاشر: منوعات	169 بيت

نرجو أن نكون بعملنا هذا قد جئنا بالفائدة العامة، وأخرجنا من النسيان شخصية مهمة. جعل الله عملنا لوجهه الكريم، آمين.

4. تراجم سيدي عبد الرحمن الكتاني

لقد وقعت يدنا على ست تراجم للمؤلف كلها مخطوطة، نأتي بها جميعا فيما يلي لتمام الفائدة:

أولها: ترجمة أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعه"، قال:

"ومنهم: أخونا للأب الفقيه العلامة الأرقى، الراقي في سماء العز والمجادة مرقى، الأديب الشاعر، ذو الذكاء والنبيل الظاهر، أبو زيد مولاي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني[13]. ولد رحمه الله في الساعة الرابعة من ليلة الأحد ثامن وعشرين المحرم مهل عام سبعة وتسعين ومائتين وألف، ونشأ في حجر والده في عفاف وصيانة، ومروءة وديانة، مصاناً عن الأغيار، متوجاً بتاج الوقار. فقرأ القرآن، ثم شرع في تعلم العلوم، محصلاً لمنطوقها والمفهوم، وكانت قراءته على والده وغيره. وأكثر قراءته على العبد الفقير. وكان قارئاً بين يدي في كل ما أقرأه من القليل والكثير، ثم أخذ في التدريس فأجاد وأفاد، كما استفاد، وحرر وهذب، ونقح ورتب. وكان ذا نجابة تامة، وذهن ثاقب، وفهم مصيب، وفكر صائب، ملازماً لوالده، باراً به كل البرور. ولوالده به اعتناء كبير وابتهاج وسرور".

"وكانت له معرفة بالفقه والحديث والآثار، والنحو واللغة والأدب وغيرها من العلوم الغزار، شاعراً مفلحاً، ناظماً، ناثراً معلقاً. ومما كتب به إلي من إنشائه ومن خطه نقلت:

أتيت حمى محمد بن جعفر لكيما خاطري بالسول يظفر، إلخ.
ومن شعره أيضا يخاطبني:

ملكّت الندى حتى عمّرت يبابه ومد على علياك قهراً قبابه، إلخ.
ومن شعره: تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي التي أولها:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقاً فبالقرب من خير الورى نلتُم السبقا
وفيه أيضا يتشوق إلينا حينما هاجرنا إلى المدينة المنورة:

مالي على هجر الأحبة من جلد تالله لا يقوى لبعدهم خلد، إلخ..

وشعره كثير جدا.

"وقد ألف تأليف رائقة، محررة فائقة، لم أستحضرها الآن، إلا أن منها واحدا فيمن غير المصطفى، صلى الله عليه وسلم، أسماءهم، ومنظومة في نصررة القبض سماها بالحسام المسنون على من قال: إن القبض غير مسنون، وقد طبعت بفاس. وهو الذي جمع للوالد فهرسته المسماة "إعلام أئمة الأعلام وأساتيدها بما لنا من المرويات وأسانيدها". وقد أجازته الوالد وغيره. ولما حججت سنة إحدى وعشرين من هذا القرن أخذت من علماء مصر والشام والحجاز وغيرهم من أهل العلم والفضل [14] الذين حجوا في تلك السنة من الآفاق الإجازة لي ولجميع إخواني، فأشركتهم معي في هذه الأمانة التي هي خير مزية وأمانة".

"وكان، هو وأخونا مولاي أحمد، قد عزمنا على الهجرة معي إلى المدينة، بل وتأهبنا لذلك، فعاقهما عن ذلك عائق الحرب العام، الذي وقع واستمر عدة أعوام. فكانا ممن هاجر بنية وعزم. فكان لهما ثواب الهجرة مع النية حتما".

"ثم إن صاحب الترجمة - فيما بلغنا - سافر من فاس إلى مراكش وغيرها، للزيارة ونحوها، في سادس وعشرين ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وثلاثين من هذا القرن، فرجع من سفره فاتح صفر سنة أربع وثلاثين شاكيا بقذفة الصدر بسبب سقوطه على صدره من مركوبه الذي قدم فيه من سفره، وبقي كذلك إلى يوم الجمعة تاسع الشهر في الساعة السابعة منه مساء، توفي رحمه الله عليه، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس، ودفن بخارج باب الفتوح في قبة سيدي الدراس بن إسماعيل عند رأسه. وتوفيت بعده أمه زوجة الوالد؛ وهي السيدة فاطمة القصيرية، في رجب عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفنت بسيدي الدراس إلى جنب ولدها، رحمة الله علينا وعليها آمين".

ثانيهما: ترجمة العلامة سيدي محمد الطاهر بن الحسن الكتاني في كتابه "بهجة البصر بذكر بعض أعيان القرن الرابع عشر". قال بعد ترجمة أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني:

"ومنهم: أخوه للأب الفقيه النبيه، الضابط الحازم النزيه، المشارك الحاذق اللبيب، الطالب الصادق الأديب؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن، وأخذ عن شيوخ أخيه قبله ومن غيرهم، وألف تأليف منها: حاشيته على شروح الأزهرى للأجرومية،

لم تكمل، وتأليف في جموع عبد، وكشف النقاب عن موافقة سيدنا عمر بن الخطاب، وتأليف فيمن أردفه النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، وتأليف فيمن بدل صلى الله عليه وسلم أسماءهم من الصحابة، وغير ذلك. وله سجية قوية في الشعر، وبدره لازال يسمو، حفظه الله آمين" [15]

ثالثها: ترجمة الشيخ سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين" المؤلف في 10 شعبان سنة 1334هـ. قال:

"وأبو زيد عبد الرحمن، صديقنا ورفيقنا في الرواية، العلامة النحرير، صاحب الخلق والأناة وحب الخير وأهله، إلى سرعة كشف عند المطالعة، وتوفيق للمطآن وحسن خط وضبط، ورواية ودراية وأدب غرض، رحمه الله رحمة واسعة. ومن مؤلفاته: نظم جيد في البيت الكتاني وفروعه، وتراجم أهله على طريق الاختصار".

رابعها: ترجمة النسابة سيدي عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه "الشكل البديع في النسب الرفيع" قال:

"وصف سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: عربي، أبيض، للطول، متصل أسوده، قائم الأنف، مُحَوَّجَب، لَرَقَة الأطراف والأسالة. وهو أخو شيخنا سيدي محمد للأب وأخو شيخنا مولاي أحمد للأب كذلك. وكانت بيني وبينه محبة عظيمة ومكاتبات لما استخدمت بوجدة وغيرها (وذكر منها كتابا أجابه فيه عن تهنئة بعيد مؤرخ بـ 20 ربيع الأول عام 1329هـ)".

خامسها: ترجمة سيدي محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني في رسالة كتبها لسيدي محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني بتاريخ 12 رجب عام 1351هـ. قال:

"الشريف الفقيه، العالم العلامة الوجيه، الخطيب النبیه، الأديب النزيه، المولى عبد الرحمن ابن المولى جعفر الكتاني الحسني، كان عالما عاملا، مدرسا أديبا، شاعرا ناثرا، خيرا دينيا نزيها، ذا حياء ومروءة، ووقار وسكينة. وكان يحبني محبة شديدة، ويعظمني غاية التعظيم، ويتأدب لي غاية الأدب. وكان يبحثني عن أسلافنا غاية البحث، وأقيد له تقايد في قبيلتنا أياما وشهورا عديدة، ولم يطالعني

على سره إلى يوم من الأيام قدم عندي صباح يوم الخميس وأطلعني على [16] قصيدته في قبيلتنا، وتركها حتى أخذت منها نسخة، وهي تحت يدي لعقبى تكون لهم ذخيرة يدخرونها أبا عن جد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين".

"وله أبحاث عجيبة في الفقه، وخصوصا علم النوازل. وكان يأتي عندي في بعض الأحيان ليطالع نازلة في كتبي، ولا يذكر لي مقصوده، إنما يطالبني بالكتاب، فأدفعه له، وبعد مراجعته لذلك يتركه تحت يدي. وهذا دأبه معي رحمه الله".

"توفي في الساعة السابعة ليلا تاسع صفر الخير عام 1334هـ، ودفن بضريح سيدي الدراس بن إسماعيل، وخلف ثلاثة أنجال: سيدي محمد وسيدي إدريس وسيدي الطيب، ولا زالوا بقيد الحياة وقر الله جمعهم".

سادسها: ترجمة سيدي محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "الكواكب الزاهرة والمآثر الباهرة في علماء الشعبة الكتانية الوافرة" قال:

"هو العالم المحقق، الفقيه المدقق، الكاتب الكبير، والشاعر الشهير، المسند الراوية، المحدث الداعية، النسابة المطلع، والبحاث المتورع، المدرس البليغ، فرع الشجرة المحمدية، وغصن السلالة النبوية، تاج الأدباء، ویتيمة النجباء، الكوكب الأزهر، والتاج الأنور، الدين المتمسك، الخير المتبرك، الأثري العامل، السني الفاضل، الذي فاق الأقران، وحدا أئمة البيان، أحد المتبرزين في العلوم الظاهرة، والمتصدرين للمزايا الطاهرة، الشائق لأعلى الحضرات، والمتنظر لأكمل المقامات، المشروح الخاطر، والمشارك الناظر، الجماع البارع، والنفاع الخاشع، المتعلق بأذيال العارفين، والمطرح على ظهور الكاملين، المبهوت النوراني، والمغبوط المتفاني، أحد نجباء الشعبة الكتانية، وأظرف المدرسين أهل الفكرة التيبانية، أبو زيد عبد الرحمن ابن إمام الفقهاء والنوازل العلمية مولانا أبي المواهب جعفر الكتاني، أحد تيجان الإدريسية الفاسية، وأفراد الشعبة العلمية التيبانية".

"ولد في أواخر محرم الحرام سنة 1297هـ في حاضرة فاس، فتربى في حجر والده الفقيه النوراني، فاعتنى به أتم اعتناء، وقام بشؤونه شأن الكبراء، ينبهون أبناءهم للمحاسن، ويسوقونهم أمامهم لكل المعاطن، فيجدونهم في كل [17] المضامر، وينادونهم في كل العلوم والمآثر. فأدخله والده للمكتب القرآني، فأخذ منه

الكثير بهمة وأعانه الله به في المهمات. فلما ارتوت حافظته الذكية الفائقة، وطعمت همته من التلاوة الرائقة، انتقل إلى الجامعة القروية الفاسية الشهيرة، فانخرط في عقد أبنائها النجباء، وصار يرد في بحارها العلمية حتى اكتظ قلبه النوراني، وارتوى جسمه وفكره المتداني".

"ثم إنه لازم جماعة من مشايخ العلم والدراية، وكاتب طائفة من أهل الرواية كالعلامة الفقيه والده أبي المواهب الكتاني، وأخيه الحافظ أبي الأنوار الكتاني، وجدنا الصوفي المحدث أبي المكارم الكتاني، والدنا الإمام المفسر الأصولي الصوفي الحافظ أبي الفيض مولانا محمد الكتاني صاحب اللثام، والفقيه المشارك الشريف أبي محمد عبد الملك بن عبد الكبير العلمي، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام جنون، والحافظ المطلع أبي عبد الله بن عبد الواحد الإدريسي الزرهوني، والخطيب أبي جيدة بن عبد الكبير الفاسي الفهري، وأخيه العلامة محمد الطاهر الفاسي الفهري، والعارف الجليل العلامة الحميد أبي عبد الله الشيخ محمد مصطفى ماء العينين الشنجيطي، وأبي العباس أحمد بن الخياط الزكاري، وأبي عبد الله العلامة الأصولي الكلامي محمد بن قاسم القادري، والقاضي أبي العباس أحمد بن محمد البناني، والقاضي أبي محمد عبد الله بن خضراء السلاوي، وغيرهم رحمهم الله وأسكنهم الفردوس بمتة وكرمه. آمين".

"ومن شيوخه المشاركة: الشيخ حبيب الرحمن المدني، والشيخ صالح الظواهري المدني، والشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني، والشيخ أحمد البرزنجي المدني، والشيخ عبد الله القدومي المدني الحنبلي، والشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني، والشيخ محمد بن سليمان الشهير بحسب الله المكي، والحبيب حسين بن محمد الحبشي، والشيخ محمد سعيد بابصيل المكي، والشيخ أحمد أبو الخير بن عبد الله مرداد، والشيخ محمد عبد الحي بن مولانا المولوي الشيخ الشاه محمد الإلهأبادي، والمسند أحمد أبو الخير بن عثمان الأحمدي، والشيخ بدر الدين الدمشقي، والشيخ عبد الحكيم الأفغاني، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد أمين البيطار الدمشقي، والعلامة الشيخ يوسف النبهاني، والشيخ عبد الرحمن الحوت البيروتيان، والشيخ عبد الرحمن الشربيني [18] المصري، والشيخ محمد بن محمد الميرغني، والشيخ سيدي أحمد العطاس اليمني، وغيرهم من الأعلام، ومشايخ الإسلام".

"ومن مؤلفاته: "الجوهر النفيس في النسب الكتاني ذي التقديس"، و"الحسام المنتضى المسنون على من قال: إن القبض غير مسنون". وله من الأشعار الكواكب الكبيرة، والانتظامات الشهيرة، حاز فيه المضممار الفائق، والباع الرائق، واشتهر بذلك اشتهاً كثيراً، واستوى منه على ذروة البلاغة قريراً. وها أنا أسوق هنا طائفة من نفائس أشعاره، وجواهر من معالي يواقيته وأسراره". (وأتى ببعض أشعاره).

سادسها: ترجمة سيدي محمد الغيث بن الشيخ ماء العينين في كتابه "ديوان الأبحر المعينية في الأمداح المعينية". قال:

"أديب أقرانه، ليبب صحبانه، العالم الفقيه الشريف، والحب المنيف، السيد عبد الرحمن ابن القدوة الشهير السيد جعفر الكتاني. كان من العلماء المتقين، والأدباء الورعين، وله مشاركة جيدة، في أكثر الفنون المعتدلة والمنقولة. وتأليفه حسنة، وأجوبة عن المسائل مستحسنة. وله ذكاء مفرط، وجودة قريحة وثبت. وهو ممن أعرفه بفاس. وقد تتلمذ على حضرته الشريفة (يعني: الشيخ ماء العينين) وأعطاه الإجازة في العلم الظاهر والباطن. وله في كثير من تأليفه المطبوعة تقارير شهيرة، ومدائح في حضرته العلية كثيرة".

نطلب من الله التوفيق

وكتبه:

علي بن محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني

جدة 1 رجب عام 1407هـ. [19]

الفصل الأول

نشطير قصيدة

ابن جابر الأندلسي [20]

تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي

عندما سافر أخو الشاعر الأكبر العالم الفقيه الإمام الشيخ محمد بن جعفر الكتاني مهاجرا إلى المدينة المنورة وأخذت تظهر بوادر انحلال الدولة المغربية وتسلب المستعمر الفرنسي عليها، أخذ العلامة سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني يفكر في الهجرة إلى أرض الحجاز، مهبط الوحي ومرقد سيد البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأبدى هذه الرغبة الجامعة في تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي الرائعة سنة 1330هـ وأرسلها مع رسالة إلى أخيه من فاس إلى المدينة المنورة.

وابن جابر هذا هو: أبو عبد الله محمد بن جابر الضرير، من أهل المرية بالأندلس، رحل إلى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلب، وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان، وله أمداح نبوية كثيرة وتأليف، وقد رجع إلى الأندلس وتوفي في البيرة في جمادى الآخرة سنة 780هـ. وهذا نص تشطير سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقا	وفخركم قد طبّق لبغرب والشرق
إذا عدّد الأقوام يوما فخارهم	فبالقرب من خير الورى نلتّم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم إلى	مبارحة ؛ إني أرى ذلك الفسقا
وتيهوا بسكنائها على الكون واهجروا	سواها وإن جار الزمان وإن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما	منحتم به من قرب خير الورى شوقا
وببذل مُلك الكون كي يصل الذي	وصلتم، فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتّم عناية ربكم	وفزتم بما عنه تقاصر من يرقى
وحزتم جوار المصطفى خيرة الورى	فها أنتم في بحر نعمته غرقى
ترون رسول الله في كل ساعة	فتنبعث الأمداد لكم ودقا
لقد حزتم سعد السعود بقربه	ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم	ويمنح آتیه مؤملهُ طبقا
على فتحه للمعتقين بناؤه	وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضرکم	ويكرم مثواكم ويجبر ما انشقا
ويكثر جدواكم على كل حالة	ولا يمنع الإحسان حراً ولا رقاً [21]

بطيبة مشواكم وأكرمُ مرسل
فمن ذا يدانيكم وطه على المدا
فكم نعمة لله فيها عليكم
وكم نفحة عنكم تزداد بجاهه
أمنت من الدجال فيها فحولها
فمن أي باب رام يدخل عنده
كذاك من الطاعون أنتم بمأمن
لقد نلتُم كل المنى بجواره
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم
ولا تعدلوا عن رَبِّعِهِ خوف فاقة
حياة وموت تحت رحماه أنتم
أمنت به دنيا وقبرا وَمَنْشَرَا
فيا راحلا عنها لدنيا تريدها
أستبدلُ الأدنى بما عز مثله
أتخرج عن حوز النبي وحرزه
أتعدل عن بحر المكارم والندی
أتبعد عمن جاء للخلق رحمة
أترغب عن أعلى الخلائق رتبة
لئن سرت تبغي من كريم إعانة
أليس رسول الله أكرمُ خلقه
وإن كنت تبغي العلم فالعلم كله
فمهما تشا منه تجده حقيقة
وإن خفت ريب الدهر فهو أماننا
ومالي سوى حُبي إليه وسيلة

يدافع عنكم كل من يبتغي محقا
يلاحظكم، فالدهر يجري لكم وفقا؟
ملكتم بها من أشرف الرتب الأرقى
فشكرا فنُعمى الله بالشكر تستبقي
جنود من الأملاك تدحقه دحقا⁽¹⁾
ملائكة يحمون من دونها الطرُقا
كما صحَّ إسنادًا، فحدّث به صدقا
فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
وهيموا به ما بين أهل الهوى عشقا
وإن حالت الدنيا ومرت فلا فرقا⁽²⁾
فطوبى لكم حال الحياة وفي الملقى
وحشرا، فسترُ الجاه فوقكم ملقى
حنانيك لا تعدل عن العروة الوثقى
أطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
لكي تجتدي من غير حضرته وسقا
إلى غيره، تسفيه مثلك قد حقا
وكم مستهام ذاب من بعده توقا
وأولاهمُ حلمًا وأوسعهم رفقا؟!
فأنت إذن والله من جملة الحمقى
فأكرمُ من خير البرية ما تلقى
أحاط به لما إلى ربه استرقى
لديه فكم قلب من الجهل قد أنقى
يقينا، فلا ضيماً نخاف ولا ضيقا
إذا الدمع من خوف القيامة لا يرقا

(1) تدحقه دحقا: تطرده طردا.

(2) حالت: زالت.

هو الرزق مقسومٌ فليس بزائد رحيلك في المقسوم ما جل أو دقا
فلست تنال الدهر بالسير ذرة ولو سرتَ حتى كدت تخترق الأفقا
فكم قاعد قد وسَّع الله رزقه إلى بابه تجري ركائبه طلقا [22]
وكم من مُجدِّ لم ينله سوى العنا ومرتحلٍ قد ضاق بين الورى رزقا
فعش مثل ما عاشت صحابته بها وإن كنت لا تقوى فما يسع الطوقا
فكل امرئ منهم لقد كان سالكا على الزهد والإيثار والسَّنن الأتقى
ولا تملأنَّ البطن فالبطن شرَّما يعوق عن الخيرات ماله عوقا
فكم طاعة لله تتركها إذا ملأت، فأمسك لاستهابك ما يبقى
ولا تُوسِغنَّ الخرق فالمرء قادر على سعة فيها إذا استعمل الرفقا
فتنتظم الأحوال فيها لمن جرى على الفرق مهما كان لا يُوسِغُ الخرقا
وعودٌ جميل الصبر نفسك واقتنع بكفٍ سُوَيْقٍ أو بِدَدٍّ وإن مزقا
فما النفس في التحقيق إلا مطية على مثل ما عودتها أبدا تبقى
وكن لهم عبد الشرا في الورى فإن أبوك فلازم بابهم تدرك الوفا
فمن لازم الأبواب ياوونه وإن هم قبلوا فاشكر ولا تطلب العتقا
وعش في حمى خير الأنام ومت به تنل يوم عرض الخلق أحسن ما يُلقى
وراع رعاك الله ما ينبغي له إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
إذا قمت فيما بين قبر ومنبر وشاهدت نورا هابه البدر فانشقا
وأصبحت جارا للنبي مخيما بطيبة؛ فاعرف أين منزلك الأرقى
لقد قمت في دار النعيم بروضة إذا برقت أنوارها تمحق البرقا
ونلت بها كل السعادة والهنا ومن قام في دار النعيم فلا يشقى
ومنبره السامي على حوضه غدا عليه غدا يوم القيامة لا يُرقى⁽¹⁾
ولكن إذا تمت شفاعته ارتقى يرى ذاك منا كل من أَلِفَ الصدقا
ومن جنة عليا وحوضٍ مكرمٍ نزيلُ حمى طه ينال المنى حقا
فطوبى لمن قد حل طيبة إنه إلى ظل ذا يُووي ومن ذاك يستسقى

(1) يعني: حديث الشيخين عن ابن عباس: "توضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه، قائما بين يدي ربي منتصباً..." الحديث.

لقد أسعد الرحمن جار محمد وأولاه في الفردوس أرفعه مرقى
 فيا سعد من أضحى بطيبة ثاويا ومن جار في ترحاله فهو الأشقى
 فما خلق الرحمن أطيّب تربة وأشرف من تلك البقاع ولا أرقى
 وما نظر الراؤون أحسن منظرا وأظهر منها في الوجود ولا أنقى
 بها خير من فوق البسيطة قد مشى وأشرفهم قدرا وأولهم خلقا
 وأعظمهم جاها وأكثرهم سنا وأملحهم وجها وأفصحهم نطقا [23]
 وأصدقهم وعدا وأبسطهم يدا وأوفاهم عهدا وأعملهم صدقا
 وأعلاهم مرقى وأوسعهم مدى وأكرمهم خلقا وأعظمهم خُلُقًا
 لقد فَضَّلْتُ كُلَّ البلاد بأسرها وطَوَّقْتُ الأكوان من حسنّها طوقا
 ولا عَجَبُ أن تَفْضَلَ الكونَ كُلّه كما أن من حازته قد فَضَّلَ الخلقا
 وما مات حتى كَمَّلَ اللهُ فضلَه ولا موت فالأكوان من فيضه تُسقى
 وكل أخى فضل فمنه استمدّه عموما، فلا تخصص زمانا ولا أفقا
 فلو مات في أرض وفُضِّلَ غيرها لأشكل ذا، والله قد أوضح الحقا
 ولو صحّ ما قد قيل من فضل مكة عليها لما تم الكمال الذي حقا
 وما ضمّ أعضاء الرسول فإنه به قد حوى أعلى مراتب الاسترقا
 وذاك بإجماع الأئمة كلهم أجلّ مكان، لا خلاف هنا يبقى
 وليس بهذا من نظير غيرها ولو عرش مولانا فلم يرق ذا المرقى
 بطلعته بانّت معالم خيرها فقد حازت التفضيل لا شك والسبقا
 فمن أجله قد حنّت العيس في الفلا إليها، وكان الشرق قد فتح السوقا
 ولا غرو أن حنت نفوس ذوي العلا إليها اشتياقا مثل ما حنت الورقا
 ولم نر ما بين العبير وتربها وحقك فرقا، بل ثراها سما فوقا
 ولم نر ما بين السماء وأرضها ولا لثم خدٍ والبطاح بها فرقا
 تروح لها ريح الصبا ثم تنثني فتوسّعني من نشر حضرته نشقا
 فأصديق بمن قد قال عند هبوبها كأنّ قَتِيَّتَ المسك من فوقها مُلقى
 فيا حسنّها والليل مُرَخّ سدوله وقد عبقت من طيب ساكنها عبقا
 أشاهد ما لا يدرك الطّرفُ وصفه وقد أشرقت بالنور قبتها الزرقا⁽¹⁾

(1) كانت القبة الخضراء زرقاء، إلى أن صبغها السلاطين العثمانيون باللون الأخضر.

وقالوا: يرق العيش فيها على الفتى
وزادوا جدالاً واجترأ وأطنبوا
فمن سار عنها يبتغي بدلا بها
ولو كان ذا عقل وعلم ثوى بها
هي البلدة العذراء لا عذر لامرئ
وأحسن رب الكائنات عزاء من
هي العروة الوثقى فإن كنت طالبا
هي الملجا الأحمى فإن كنت تبتغي
حبيب لرب العالمين محبه
فحاشا وكلا أن نراع وجبهُ
بدعوته نُشْفَى، وتحت لوائه
ومن أجله نُرعى ومن حزب آله
له المعجزات المعجبات، فمن عصى
ومن قد رآها ثم لم ينزجر بها
ففي الدوح من مشي له وتحية
وفي نخل سلمان وفي تمر جابر
وسبخت الحصباء مثل الطعام في
وقد سمع الأصحاب تسبيح ذين من
وجاء فدرّ الضرع من بعد جذبِه
وجاد فأجدى أهله من نواله
وشقّ على أعدائه أن ربه
ولما تmadوا في الشقاق وعاندوا
وقد طرق الله الشياطين حرمة
فمن رام منهم مقعد السمع مسرعا
وفي الماء والإيوان للعُجم كم بدت

فقلت: إله الخلق قد قسّم الرزقا
فقلت: فما أحلاه عيشا وإن رقا
لقد ضل مسعاه، فأخسر به صفقا
فذاك من الجهّال عندي والحمقى
سلاها وما وفى الغرام بها حقا
رأها، وما هام الفؤاد بها عشقا
نجاه بها لُد ؛ إنَّها الوزرُ الأوقى [24]
نجاتك، فاستمسك بعروتها الوثقى
سرى في الورى من قبل أن تعرف الوثقا⁽¹⁾
يخالط منا العظم واللحم والعرقا
نكون إذا ما ألجم العرق الحلقا
نجيب إذا ندعى، ومن حوضه نُسقى
أوامره، تبّا وسُحقا له سُحقا
وشق العصا من بعد ذاك فما أشقى
وفي نبع عذب الماء من كفه دفقا
وفي الوحش إذ ناجته كم آية أبقى
يديه كما انهل الغمام إذ استسقى
يديه، وحتى الجذع أسمع النطقا
يخالص دُر طعمه قد حلا ذوقا
فأبقى لهم فضلا وأصحابه أسقى
يدافع عنه كيدهم دون أن يشقى
لتعجزهم ؛ بدر السماء له شقا
لمولده السامي عن الأفق الأرقى
له ؛ فنجوم الأفق ترشقهم رشقا
دلائل تبني أنهم قاربوا المحقا

بدت ليلة الميلاد عند كليهما فجاءت جق الماء والآخر انشقا
 وألقى إليه العنكبوت رداءه فكان له ما لم تنل بعضه العنقا
 وجازاه خير الخلق بالحب إذ أتى ليسترن في الغار عنهم بما ألقى
 وقامت به وُزق الحمام وقاية لتصرف عنه من يريد له طرقا
 وما علموا أن الإله يحوطه فقالوا: لو استخفى به نفر الورقا
 فكافأها بالأمن حول ضريحه تروح وتغدو لا تُراع إذا تُلقى
 وفي نسلها لازال ذلك ساريا إلى اليوم لا بخسا تخاف ولا رهقا
 إذا أقبلت أبصرت إذلال ذي يد فيوسعها برا وبمنحها رفقا
 فيا سعدا حازت قرارا بروضه وأمن نزيل لم يُعشى ولا عقا[25]
 هربت إلى رحماك يا سيد الوري لينقذني مما عرى منقذ الغرقى
 وجئت إلى أبواب جودك مسرعا لأطلب من رق الذنوب لي العتقا
 ومن خير بحر للقريض جليتها فكانت لجيد الشعر من مدحك طوقا
 وإنني بتقصيري إليك رفعتها جواهر مدح فيك أنسقتها نسقا
 وأقبلت أرجو منك حسن قبولها وقلبي من استحيائه أكثر الخفقا
 وأملت أن أحظى برؤية وجهكم فإن صح ما أرجو؛ فيا خير ما ألقى
 يجل لسان صاغ مدحك أنه يسام بسوء أو يروم له لحقا
 وحاشا الذي أضحى بجاهك لائذا يُراع بنار أو يرى في لظى حرقا
 عليك صلاة الله يا خير مرسل صلاة سنا أنوارها يملأ الأفقا
 تلاها سلام واصل لك كامل وآلك والصحب الألى نصروا الحقا

هـ[26]

الفصل الثاني

الحسام المتضى المسنون

على من قال:

"إن القبض غير مسنون" [27]

الحسام المنتضى

اتفق أهل المغرب على المذهب المالكي منذ دخول الدولة الإدريسية في القرن الثاني الهجري، وشاع بينهم السدل في الصلاة لاعتقاد كثير من متأخري فقهاءهم أنه هو السنة الصحيحة. وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري أخذ جمع من العلماء المغاربة وعلى رأسهم كبار العائلة الكتانية بالدعوة إلى القبض في الصلاة. فأدى ذلك إلى محاوررة طويلة بين العلماء. وكان شاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في أول شبابه في ذلك الحين، فكتب هذه المنظومة في نصرة القبض سنة 1319هـ (كان عمره 22 سنة) وطبعت على المطبعة الحجرية بفاس في نفس السنة. وهذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حمدا لمن بيده القبض والبسط، وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد أفضل أهل السماء والأرض، وعلى آله وأصحابه التابعين له في كل سُنَّة وفرض، وجميع من قفا أثره في أقواله وأفعاله من غير إلغاء ولا رفض.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير، النائب عن درجة أهل الجد والتشمير، عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، جعله الله ممن ليس له عن طاعته ثاني: قد وقفت على نظم في صورة السؤال عن حكم القبض في صلاتي النفل والفرض، للفقير الأديب اللوذعي الأديب أبي العلاء مولانا إدريس العلوي الفضيلي، فأردت أن أجيب عنه، ثم ظهر لي أنه لا يحتاج إلى جواب، لأن سنة القبض لم يبق منها في المذهب المالكي بعد الإمام المسناوي ارتياب، إلا لمن طمس الله بصيرته، ولم يظهر من الأقدار سريره.

ثم إنني بعد ذلك بأيام وقفت على جواب عنه لبعض الجهلة اللثام، أتى فيه عبارات متناقضة وترهات متعارضة يضحك منه السامع والرائي، ويظن الجميع أنه من جملة أضغاث الأحلام والمراي، بل فيه ما هو كفر أو قريب منه في الورقة الثانية، حيث جعل الأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة أعظم داهية، فلم يسعني عند

ذلك إلا القيام بحقوق هذا المرام، فأجبت عنه بهذا الجواب، الذي لا يمتري من معه أدنى علم في أنه فصل الخطاب. وسميته بالحسام المنتضى المسنون على من قال: إن القبض غير مسنون، فلنذكر أولاً السؤال بحروفه، ثم أتبعه بالجواب المظهر [28] لزيوفه، فأقول: نص السؤال:

أيا قابض الأيدي لدى الصف هل أتى
وهل هو ممنوع وفيه سماجة
فإن كان مهجوراً؛ تركنا سبيله
ونوفي جهل الأقدمين لفعله
وإن كان مشروعاً وقيل بئذيه
فهذا الذي نأتي احتياطاً لما أتى
ففي السدل آثار تلتها أدلة
فأول حبر يقتدى بفعاله
أتانا بسدل في الصلاة رواية
وعنه روى بحر الأئمة مالك
وهذا الذي في الأم عن مالك الرضى
وفي ذاك آثار رواها جماعة
ولا ريب أن القبض قاله مالك
كذلك أعلام الأئمة كلها
عليها مدار المذهب الألب الذي
لذلك أهل الغرب طرا تواطؤوا
على القبض من أهل العصور التي خلت
كمثل إمام الراسخين محمد
وكالعالم الفاسي الجليل ورهطه
لما فيه من تشويش عامتنا وإن
فبالله نبئني: أكانت فعالهم
فإن كان في يوم الضلال سقوطهم
وإن كنت لم ترض بأفعال من مضى

حديثٌ بنبذ السدل عند الفريضة
فبالله خبرني على أي حالة؟
ونهج الذين ينحون في كل وجهة
وتركهم للحق في كل ركعة
وفرضه عند الأقدمين الأجلة
لفرضه، أولاً؛ تبنا منه بسرعة
عليها جميع الناس في كل بلدة
إمام الهدى إدريس بحر الحقيقة
عن الأب عبد الله عالم طيبة
لسدل يد والحق أولى برفعة
وفي غيرها للقبض رأي جماعة
تنيف على الخمسين في عدة جملة
ولكن ثبوت السدل في الأم حجتى
تقدم ما في الأم من غير ريبة
سناء يباهي البدر بل للغزاة
على السدل غير النزر قام بحجة
ولم يأتنا قبض البدور الأهلة
ومثل إمام المُقَرَّبِينَ ابن سودة
وغيرهم آل الحجا والسرادة
يكن قد أتى فيه صريح الأدلة
ضلالاً وزاغوا عن سبيل الشريعة؟
فما أنت مخصوص بنيل سعادة
فحسبك فعل القبض دون جماعة

وإن كان تضليلاً لسالف أمة
أجبنني سريعاً بالذي أنت ذاهب
انتهى السؤال، ونص الجواب:

لك الحمد يا مُولي الأيادي العميمة
وأهدي إلى خير الخلائق كلهم
وآل وأصحاب وكل امرئ قفا
وبعد الذي قدمت هاك جواب ما
فسرّح به الألفاظ واقطف ثماره
ولازم صراط الحق واهجر خلافه
فما فاز إلا من غدا سالكا له
أيا سائلا عن حكم قبض اليدين في
فخذه جوابا ما اهتدى لنظيره
ودونكه من عالم عارف به
فقولك في البيت المقدم: هل أتى
نعم جاء عن خير الورى أنه نهى
ولكنّ حفاظ الحديث لهم به
فهل سدل ثوب أو يد أو شعورنا
ومشترك الألفاظ يُحمّل عندنا
إذا لم يكن في اللفظ صارفه إلى
وأيضا فقد صح الحديث بأمرنا
ومنه أخذنا نهيه عن صلاتنا
إذ الأمر بالأشياء عين لنهينا
فيا سادل الأيدي لدى الصف هل أتى
صحيح بنقل العدل عن مثله إلى
فلو دمت طول العمر تبحث لم تجد
ولا تلتفت للقاتلين بنسخه
فيا من له أدنى نصيب ومسكة

فأقبح ما تأتيه تجهيل عليّة
إليه وداو الصدر من داء علتي [29]
على نَعَم ليست تُسام بقيمة
صلاة وتسليما لدى كل لحظة
طريقهم في كل قبض ورخصة
سألت بإنصاف بلا عصبية
ورّد حوضه تحظى بإطفاء غلة
فتلك وحقّ الله أحسن سيرة
فكل صلاح من صفاء الطوية
تَنَقُّله طرا وعند المقامة
سوى من حباه الله أرفع رتبة
بأوضح تقرير وأبهى عبارة
حديث بنيد السدل عند الفريضة؟
عن السدل فيها بل وفي كل ركعة
خلاف بدا كالشمس عند الظهيرة
ثلاثة أقوال بدت في القضية
على ماله قد صح عند الأئمة
خصوص لذا أو ذا كنعو قرينة
بقبض يد يا صاح في كل ركعة
بسدل يد، فافهم تُزَل كل علة
عن الضرّ من دون ارتياب ومريّة
حديث بنيد القبض عن غير قدوة
رسول به يجلى ظلام الدجنة؟
سوى أمرنا بالقبض في كل وجهة
فذلك تغييرٌ لحكم الشريعة
من العقل هل نَسَخ وفعل الصحابة

وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ قَدَوَةُ الْوَرَى
أَجْبَنِي أَجْبَنِي عَنْ سُؤَالِي بِالَّذِي
وَدَعَ مَا ادْعَى عَيْشَ مَنْ ذَاكَ قَائِلًا
فَبِطْلَانٍ مَا قَدْ سَطَرْتَهُ بِنَانِهِ
سَوَى الْمَدِّ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ جَا حِد
فَلَوْ صَحَّ مَا قَدْ قَالَ، فَاعْتَرَضَ امْرُؤُ
لِتَقْدِيمِهِ أَعْمَالِ أَعْلَامٍ طَيِّبَةٍ
وَلَوْ صَحَّ أَيْضًا لَمْ يَجِيبُوا بغيره
عَلَى أَنْ عِنْدَ التَّرْمِذِيِّ خِلَافُهُ
فَطَالَعَهُ تَلَقَّى فِيهِ مَا قَدْ ذَكَرْتَهُ
وَسَلَّمَ كَلَامِي ذَا وَكُنْ تَابِعًا لَهُ
وَقَوْلِكَ: مَا مَعْنَاهُ. فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ
جَوَابُهُ: بَلْ مَشْهُورٌ مَذْهَبُ مَالِكٍ
وَشَهْرٌ نَدَبِ الْقَبْضِ أَيْضًا أَثْمَةُ
فَحِينْتُذَ سَاوَاهُ فِي شَهْرَةٍ وَلَمْ
وَمَا اجْتَمَعَا فِيهِ أَحَقُّ بِفَعْلِنَا
وَيَأْتِي لِهَذَا مَا يَتِمُّ فَاسْتَمِعْ
وَقَوْلِكَ: إِنْ السِّدْلُ قِيلَ بِفَرْضِهِ
فَمَا قَالَهُ شَخْصٌ وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ
وَلَا زُمْ قَوْلِ الْمَرءِ لَيْسَ بِقَوْلِهِ
وَأَيْضًا فَذَا إِنْ لَمْ نَقُلْ: إِنْ مَنَعَهُ
وَقَوْلِكَ مَا مَعْنَاهُ: فِي السِّدْلِ كَمْ أَتَى
فَهَذِهِ دَعْوَى قَدْ خَلَّتْ عَنْ دَلِيلِهَا
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ وَتَدْعِي
فَسَمِّ لَنَا مَنْ أَخْرَجُوهَا بِكَتِّبِهِمْ
عَلَى أَنَّهُ قَالَ الثَّقَاتُ الْأَلَى سَعُوا
طَلَبْنَا حَدِيثَ السِّدْلِ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا

وَأَتْبَاعُهُمْ أَهْلُ الْمَزَايَا الْجَمِيلَةِ! يُنَجِّيكَ مِنْ هَادِي الدَّوَاهِي الرَّدِيَةِ [30]
بِالْإِسْرَافِ جَاءَ الْفَعْلُ عَنْ أَهْلِ طَيِّبَةِ
لِكُلِّ امْرَأٍ بَادٍ بِأَبْلَغِ حُجَّةٍ
لِبَدْرِ الدَّجَا أَوْ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ
عَلَى مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ بِالْكَرَاهَةِ
عَلَى خَبَرِ الْآحَادِ مِنْ دُونِ شَبْهَةٍ
وَذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى ذِي الْمَهَارَةِ
بِجَامِعِهِ بَحْرُ الْعُلُومِ النَّفِيسَةِ
إِذَا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَهْمِ السَّلِيمَةِ
فَلَا وَجْهَ لِلْإِنْكَارِ وَالْعَصْبِيَّةِ
وَهَلْ هُوَ مَمْنُوعٌ وَهَلْ ذُو سَمَاحَةٍ؟
هُوَ النَّدْبُ لِلْإِسْرَافِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
أَجْلَاءُ ذُو قَدَرٍ عَظِيمٍ وَرَفْعَةٍ
كُنِ الْقَبْضُ عِنْدِي زَادَ بِالْأَرْجَحِيَّةِ
لَهُ، وَهُوَ أَوْلَى عِنْدَنَا بِالضَّرُورَةِ
وَسَلَّمَ وَدَعَ أَهْلَ الْفَهْمِ السَّقِيمَةِ
وَهُمَّتْ وَحَقَّ اللَّهُ رَبُّ الْخَلِيقَةِ
كَمَا صَحَّحَ النِّقَادُ مِنْ خَيْرِ أُمَةٍ
كَمَا صَحَّحَ النِّقَادُ مِنْ خَيْرِ أُمَةٍ
مَرَادُ بِهِ كَرَهُ وَتِلْكَ طَرِيقَتِي
مِنَ الْأَثَرِ الْمَرْوِيِّ عِنْدَ الْأَثْمَةِ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِأَهْلِ الدَّرَايَةِ
وَكَنْتُ بِذَا الْمِيزَانِ فَارِسَ حَلْبَةٍ
وَعَمِنَ رَوْوَاهُ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ
مَدَى عَمْرِهِمْ فِي جَمْعِ شَمْلِ الرِّوَايَةِ
فَلَمْ نَلْقَهُ بَعْدَ السَّنِينَ الطَّوِيلَةِ

فإن فقتُم حفظًا وفهمًا فبح لنا
وإن قصرُوا في البحث أو كان فريّةً
أجبنني أجبنني بالذي أنت ذاهب
وقولك: إن القطب إدريس قد روى
لسدل يد، فهو افتراء وباطل
ولم يحكه عنه سواك وذاك من
فإن كان منصوبًا فبيّن محله
وقولك عن عبد الإله: رواه ما
وهمت فذا في سدل ثوب كما به
كذاك عيّاض الإمام الذي له
ويؤخذ في لفظ "المدونة" التي
ولازم هداك الله سنة أحمد
فليس لنا إلا اتباع الذي أتى
وقولك: إن القبض قاله مالك
فهذا عجيب منكم وكلامها
فمن قائل: خوف اعتقاد وجوبه
ومن قائل وهو المصحح عندهم
وحينئذ فالاعتبار بما نرى
فإن لم يكن للاعتماد فسنة
وقال أخي عبد العزيز بن جعفر
على أن ما في الأمر عندي معارض
ومهما خليلي أمكن الجمع عندنا
وهل يمكن التوفيق إلا بقولنا
أقول وهذا واضح ليس يمتري
وقولك: نبثني أكانت فعالهم
جوابه: لا لا لم يكن قط فعلهم
ولكنهم إذ ذاك قد فهموا كلا

بذاك وإلا يا لها من غريبة
فبالله خبرني على أي حالة [31]
إليه وعجل [لي] بإطفاء غلتي
عن الأب عبد الله عالم طيبة
وسفسطة دون التباس وريبة
أدل دليل أنه محض فريّة
وإلا فتب لله أنصح توبة
لك سيدي في كل فعل وعمدتي
يقول ابن رشد وهو ليث الكتيبة
يد لا أضاهي في الأمور العويصة
بسحنون، فاترك ما فهمت ببيعة
وثابر على مندوبها والرغيبة
عن المصطفى المختار في كل حالة
ولكن ثبوت السدل في الأم حجتني
تأولّ الأعلام أهل الدراية
ومن قائل: خوفًا لإظهار خشية
لأجل اعتماده اتباعا لسنة
الفضلى به، هذا لباب القضية
وإلا فحقق كرهه في الفريضة
بتقريظه ذا النظم حاوي البلاغة
بها في موطأ مالك دون مربة
فبادر إلى التوفيق في غير مهلة
بسنة للقبض في كل ركعة؟
به ذو حجًا أو فكرة مستقيمة
ضلالًا وزاغوا عن سبيل الشريعة
ضلالًا وزيغًا عن سواء الطريقة
مها مطلقًا عن غير قصد لسنة

فصاروا بسدل يعملون لأنه
ولما أتى من بعدهم وتعقبوا
بأنه فعل المصطفى وصحابه
وكم جاء فيه من نصوص صريحة
فيقبح إطلاق الكراهة في الذي
وقيل بتقييد المدونة التي
بمن قُضدُهُ مِن وضعه الإعتماد لا
غدا كلُّ من يبغى التسنُّن منهم
لكونهم لم يألّفوه بأرضهم
وينشأ عنه إن غدا فاعلا له
وما كان فيه درء مفسدة يرى
فإن اتقاء المرء عِرْضًا له بتر
فلما رأوا ذا هكذا اقتصروا على
وإن أمكن الإتيانُ سرا أتوابه
ولو أن أهل العصر طُرّا تواطئوا
فهذا جوابي باختصار ولو أشأ
على أنني في العلم أحقر من يُرى
ولكنني حررته عن مشايخي
كوالدنا شيخ الوجود ومن غدا
وسيدنا المولى الأخ العالم الذي
أبى الفضل والأفضال والنور والعلّا
أطال إله العالمين بقاهما
لذاك أتى هذا الجواب كما ترى
سوى أنه الحق الذي بنواجد
فخذ دواء نافعا للذي ترى
ودونك سيفًا قاطعًا كل حجة
ولا تعتبر من قد أجاب بغيره

هو النص عن متبوعهم بالصراحة
على مالك في قوله بالكراهة [32]
وأتباعهم من بعدهم دون شبهة
وعدة آثار حسان صحيحة
به عمل المختار من دون علة
عليها مدار الأمر عند الأجلة
بمن قُضدُهُ قَفُوْ لخير البرية
يرى تركه أولى لأجل السلامة
فَيَغْمُونَ كل الفاعلين لبدعة
كلام وهَرْجُ وانتهاكٌ لحرمة
تقدمه أولى لأجل الوقاية
ك سَنَةِ أَمْرٍ واجب بالأدلة
حكاية ترجيح له في الصحيفة
وإلا أتوا بالصد من خوف فتنة
على قبض أيديهم فعلنا بسرعة
لطَوَّلْنَهُ طَوْلًا بدون ملالة
ولا يد لي فيه لكشف عويصة
أجل الورى في كل فضل ورفعة
بذا العصر للأعلام أفضل قدوة
به اجتمعت كل الخصال الحميدة
محمد السامي لأعلى منصة
وحفهما بالحفظ في كل وجهة
وفيه الشفا للأنفس المطمئنة
يُعَضُّ عليه كل أهل البصيرة
بصدرك؛ تشفى من سقام الجهالة
ترى كلهم للسدل أوثق عروة
فما هو إلا ذو هوى في الحقيقة

ولولا اتقاء الله جل جلاله جزاء وفاءً، سيّما من أجابكم فإنني بحمد الله في ذاك مفلق لساني فصيح معرب ونظامه وفي بيتنا نور النبوة ساطع ولكنّ خوف الله كف لساننا وأسماعنا قد كفّها عن محارم وحبّ جميع المسلمين أنالنا وشيئمتنا: أن لا نقابل من أسا ولكنّ بإحسان إليه وكل ما حباننا إله العرش ذاك وراثته فأبنا بتوفيق وفضل مُنْضِدٍ وذلك فضل الله يؤتيه من يشا ولكنني أرجو من الله أنه فيكسبكم نورًا ويُسمِعْ سمعكم وأسأل رب العالمين مواهبا وعِلما وإخلاصا ومعرفة به بأكرم رُسلِ الله أحمدَ من غدا عليه صلاة الله ثم سلامه وأزواجه ثم البنين ونسلهم صلاة بها نرقى إلى الرُتبِ العُلا ويبقى على مرّ الزمان تَجَدُّدٌ ومذ كملت تاريخها قال منشداً: وأبياتها من دون هذا وما أحا ومنني على قارٍ وراء وسامعٍ

كتبت سنة 1219هـ [34].

لألبسته بالذم أقبح حلة بظلمة أفكار بدون رَوِيَّة [33] ولي عند ذا الميدان أبهر آية بليغ حلا في رونق وطلاوة به تنجلي عن فكرنا كل ظلمة عن الزور والبهتان في كل حالة والسُنَنّا قد صان عن كل غيبة عليهم حُنُوًّا لا تشاب بقسوة إلينا بإغلاظ ولا بفضاضة يحبه من قول جميل ورحمة من المصطفى، أعظم بها من وراثته وءاب⁽¹⁾ بخذلان وكل بلية ء والله ذو الفضل العظيم الجلالة يؤيدكم كي تهتدوا للمحجة ويفتح منكم كل عين ضريرة تهب على قلبي بنور وحكمة وإصلاح حال مع صفاء السريرة إمام الهدى مصباح أهل الحقيقة وءاله من فازوا بأسنى فضيلة وأصحابه أهل الصدور السليمة ونذكر ما نرجوه دون مشقة لها أبدا في كل وقت ولمحة جواب حوى فضل الخطاب بصحة ط إيجاد حق دون زيد بعبدة لذا النظم بالإنصاف خير تحية

(1) الضمير هنا يعود على المجيب بظلمة الأفكار.

الفصل الثالث

الجوهر النفيس

في

النسب الكتاني النفيس [35]

الجوهر النفيس

نشأ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني معتزًا بعائلته مفتخرًا بتشبهها بالدين وحرصها على التعليم. وكان في أول شبابه كثيرًا ما يزور بيت نسابة فاس الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني أو بيت ابنه سيدي محمد يباحثهما عن أسلاف العائلة ومشاهير رجالها، وتوَجَّ أبحاثه تلك سنة 1318هـ بكتابة هذه القصيدة التي لخص فيها تراجم أفراد العائلة الكتانية وفصل فيها شجرتها، وهذا نصها:

"الجوهر النفيس في النسب الكتاني النفيس"

مِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ مَنْ قَدْ شَرَّفَا آلَ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْمَصْطَفَى
وَخَصَّهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ وَافِرٍ وَكُلِّ سِرٍّ ذِي كَمَالٍ بَاهِرٍ
وَحَفِظَ الْكُلَّ مِنَ الْأَرْجَاسِ وَطَهَّرَ الْكُلَّ مِنَ الْأَدْنَسِ
ثُمَّ الصَّلَاةِ وَسَلَامِ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ بِلَا تَنَاهِي
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ وَكُلِّ مَنْ لَدَيْهِمْ يُجَارِي
أَقُولُ: ذِي أَرْجُوزَةٍ سَنِيَّةٍ تَضُمُّنْتَ شُعَبَتَنَا الْعَلِيَّةِ
سَمِيَّتْهَا: بِالْجَوْهَرِ النَّفِيسِ فِي النَّسَبِ الْكَتَانِيِّ الْإِدْرِيسِيِّ
أَسْأَلُ رَبِّي بِالنَّبِيِّ الْمَصْطَفَى إِتْمَامَهَا عَنْ عَجَلٍ مَعَ الشِّفَا
هَذَا وَأَسْأَلُ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالْعُلَمَاءِ وَذَوِي الْعُرْفَانِ
أَنْ يَصْفَحُوا عَمَّا بِهِ زَلَّ الْقَدَمُ وَمَا بِهِ طَغَى اللِّسَانُ وَالْقَلَمُ
وَيَفْتَحُوا أَبْوَابَ الْإِعْتِزَالِ فَذَلِكَ شَأْنُ الْجَلَّةِ الْأَخْيَارِ

المقدمة

وهاك قبل الخوض ذي المقدمة
اعلم بأن النسب الكتاني
لأنه اشتهر عند الناس
وأذعن الناس له إذعاناً
وليس فيه عندهم خلاف
فليس يحتاج إلى دليل
فالشمس لا تخفى على من أبصرا
لذاك قد صرح بالثناء
وعظموه في القلوب والنفوس
وشيدوا بنيانه تشييداً
فلا ترى في الناس إلا خاضعاً
ومن عليهم قد أساء الأدبا
وذاك عند الناس مستفيض
وكم لهم في الناس من كرامة
يضيق تعبیر الفصيح المَقُول
وإن ترد صاح بذلك معرفة
أو طالعن ما ألف الأعلام
كالكوكب الساني ونظم الدرر
ولابنه علامة الأعلام
محمد مؤلف حفيل
وغيرها مما بذكرهم ألم
كالابتهاج للإمام الفاسي
وكالذي وُسم بالدر السني

بقدر ذا الرهط الجليل مُعلمه
ليس بمحتاج إلى برهان
وصحّ عندهم بلا التباس
إذ أيقنوا صحته إيقاناً
كما يقول من له إنصاف
عند ذوي العرفان والتحصيل
إلا إذا فقد منه البصرا
عليه ذو قرب وذو تنائي [36]
وحملوا أصحابه على الرؤوس
وصيروا أنفسهم عبداً
لأهله إن مكرهاً أو طائعا
فالشر مسرعا إليه انتدبا
يعرفه الحبيب والبغيض
هي على فضلهم علامة
من قبل ما يبلغ أدنى الأوّل
فابحث عليه عند أهل المعرفة
في أمرهم؛ تحظ بما يرام
كذا الرياض للإمام جعفر
ومقتدى مشايخ الإسلام
بذا الذي ذكرته كفيل
وذكر غيرهم إلى ذلك ضم
على الذي به من الأدناس
للقادري عبد السلام الحسنی

وكالذي سُمِّيَ بالإشراف وانظر لقول درة التيجان "وَمِنْ بَنِي مُحَمَّدٍ الْإِدْرِيسِيِّ الْكَتَّانِيُّونَ بِذَاكَ عُرفُوا نَسَبُهُمْ مِنْ أَوْصَلِ الْأَنْسَابِ وَقَدَرَهُمْ فِي النَّاسِ لَيْسَ يَجْهَلُ هُنَا أَنْتَهَى كَلَامُهُ وَفِيهِ إِذْ شَمَسَ فَضْلُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ فَلَيْسَ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ وَإِنَّمَا نَسَبٌ لِلْكَتَّانِ لِأَنَّ جَدَّنَا كَبِيرَ الشَّانِ أَوَّلَ مَنْ صَنَعَ مِنْ كَتَّانٍ وَقِيلَ فِي ذَلِكَ غَيْرَ هَذَا وَكَانَ مُسْتَقَرَّهُمْ بِفَاسَ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَيْهَا مُوسَى وَرَامَ أَنْ يَسْتَأْصِلَ الْأَدَارِسَةَ وَفَرَّ مِنْ فَرٍّ مِنَ الْأَشْرَافِ كَانَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ فَرَّوْا وَهُوَ الَّذِي لَقِبَ بِالْكَتَّانِيِّ وَجَدَّ فِي السَّيْرِ إِلَى أَنْ وَصَلَ مَعَ بَنِي الْعَمِّ، وَبَعْدُ انْتَقَلُوا وَهِيَ مِنْ عَمَالَةِ الْجَزَائِرِ وَبَعْدَ ذَلِكَ نَزَلُوا بِبَنِي حَسَنَ زَمَانَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ الْمُوَحِّدِ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَكْنَسَةُ الزَّيْتُونِ وَكَانَ فِيهَا لَهُمْ صَيْتٌ شَهِيرٌ وَمَا دُرِّيَ بِالنَّصِّ وَالْقِيَاسِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْأَشْرَافِ وَلَقِطَةُ اللَّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ: وَعَقْدَ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ النَّفِيسِ وَدَارَهُمْ بِأَرْضِ فَاسَ تَعْرِفُ سَبَبَهُمْ مِنْ أَوْثَقِ الْأَسْبَابِ قَدْ عَذِبَ الْوَرْدُ وَطَابَ الْمَنْهَلُ" كَفَايَةَ لِكُلِّ مَنْ يَكْفِيهِ مَشْرِقَةُ صَحْوًا بِلا غَمَامٍ لِأَنَّهُ أَنْضَحَ لِلْعَيَّانِ قَبِيلُنَا ذَا الْوَاضِحِ الْبَرْهَانِ يَحْيَى هُوَ ابْنُ سَيِّدِي عِمْرَانَ أَخْبِيَةَ إِذْ كَانَ ذَا سُلْطَانٍ فَاجْعَلْ هُدَيْتَ حَبَّهْمُ مَلَاذًا حَفَظَهَا اللَّهُ مِنَ الْأَرْجَاسِ ابْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ الَّذِي سَا وَدَارَهُمْ بِهَا تَكُونُ دَارِسَةً إِلَى الْقُرَى وَالْمَدَنِ وَالْأَشْرَافِ يَحْيَى بْنُ عِمْرَانَ الْهَمَامِ الْحَبْرِ ثُمَّ جَرَى عَلَيْهِمْ لِلَّانِ بِحَجَرِ النَّشْرِ هُنَاكَ نَزَلَا إِلَى زَاوَةِ وَفِيهَا نَزَلُوا أَعَادَهَا اللَّهُ مِنَ الْحَرَائِرِ وَاسْتَوَطَنُوهَا مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ إِلَى انْقِضَا مُلْكِهِمُ الْمَبْدَدِ أَوَّلَ دَوْلَةِ بَنِي مُسْرِيَسَ وَحِظْوَةَ عِنْدَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ أَوَّلَ قَادِمٍ عَلَى مَكْنَسَاسِ

ومن هناك انتقلوا لفاس مقرر أسلافهم الأكياس
ونزلوها في انتصاف العاشر من القرون قال هذا القادري
وقال "نظم الدر": في أوله والعلم عند الله في ذا كله
وأول امرئ على فاس قديم منهم كما نص عليه من علم
من كان مالكا غلا المكارم سيدنا محمد بن قاسم
وعند ذكره أنسبه على ذاك وبعض ماله من العلا
ومنذ أن قد قدموا إليها وأشرق شمسهم عليها
وأهلها يعظمون قدرهم ويشهرون في البقاع فخرهم
ويثبتون في الورى شرفهم ويظهرون بهم شغفهم
ويطلبون منهم المصاهرة كيما ترى لهم بها مفاخرة
زادهم الله سناء وسنا وعمهم خيرا هناك وهنا
ونفع الورى بهم تنفيعا وحفهم بحفظه جميعا [38]
وها هنا كملت المقدمة فلنبتدئ فيما أرى أن أرقمه
لذا أقول طالبا للعون من ربنا فهو أجلّ عون

ذكر الفرع المحمدي الكتاني

ذكر عمود نسب المؤلف هو: الفقير عابد الرحمن نشأ في حجر أبيه الأجدد وقرأ القرآن في سن الصبا وهو على ذلك حتى الآن قد قرأ العلم على جماعة كشيخنا والدنا الإمام وشيخنا الفرد أبي العباس وشيخنا علامة الزمان سيدنا الأخ الرفيع الشأن وشيخنا البركة الشهير وغيرهم من الشيوخ الجللة وقد أجاز لي جمع وافر ولي من الأبناء محمداً كذا حفظهم إلهنا جميعاً ولي من الأخوة أربع بلا محمد ثم الحسين أحمد أما محمد فشيخ معتبر شرقاً وغرباً عجباً وعرباً وقدره عند الوري خطير كم نفع الله به من ناس وهو في علوم أهل الظاهر كان له الرحمن خير مسعف غفر ماله من العصيان بحر اليواقيت وكنز العسجد وبعده إلى العلوم قد صبا وبدره إلى الكمالات آن كلهم ذوو تقى وطاعة وقدوة الأئمة الأعلام ابن الخياط ذي المقام الراس ونخبة الأفاضل الأعيان محمد بن جعفر الكتاني مولاي عبد المالك الضرير الحاملين راية الشريعة غرباً وشرقاً كل علم باهر إدريس والطيب طابوا مأخذاً وزادني من فضله سريعاً زيد ولا نقص وهم على الولا وعابد العزيز كل يحمده ملائكة البوادي والحضر حباه مولانا الكريم قرباً ومجده بينهم شهير وأيقظ الله به من ناس علا وفاق كل حبر ماهر

كذاك في علوم أهل الباطن له مديد الباع ذو محاسن
 أخذ عن أئمة أمجد عُمدته منهم أبونا الماجد
 وشيخه العلامة التجاني طريقة أحمد البناني [39]
 والشيخ سيدي علي بن ظاهر المدني بحر العلوم الزاخر
 وعنه قد أخذ خلق جم عنه على سواء يسمو
 له من المؤلفات جملة (حاوية معنى الذي سيقى له)
 سارت بها الركبان للأمم سارت به من الكرامات التي
 وكم له من الكرامات التي من ذاك أنه أتى للغرب
 وكم وكم قد وقع الدعاء حتى أشار بعض أهل الخير
 فخرجوا به إلى الصحراء فجاء غيث وإبل غزير
 أطال مولانا لنا بقاءه وفي مدارج العلا ارتقاءه
 له ثلاثة من الأنجال أولاهم الله علا الكمال
 محمد العربي، والمكي والزمزمي السيد السمي
 هو من الطلبة الأنجال وفقه المولى إلى الصواب
 وثاني الإخوة: الحسين الأمجد المتواضع الهمام السيد
 له محمد وعبد المالك هدي نحو أحسن المسالك
 ثالث الإخوة: الإمام أحمد وهو مدرس فقيه أوحد
 مشارك في جملة من العلوم نفع ربنا به نفعاً يديم
 أخذ عن والدنا الرباني وسيدي الأخ الرفيع الشأن
 وعن سواهما من الأعلام الحاملين راية الإسلام
 له التأليف العديدة التي فاقت على عشرين عند العدة
 ومع ذا ملازم للنسك والذكر والأوراد ذات الحبك
 فلا تراه ساهياً ولا هي بل دائماً مشغلاً بالله
 وكم له من المرائي الحسنة وكم له من طاعة وحسنة

أولاه مولانا مقامًا حسنًا وزاده منه سناء وسنا
 رابعهم: سيدنا عبد العزيز ذو العلم والفهم مع اللفظ الوجيز
 قرأ أولًا كتاب الله ثم سعى للعلم غير لاه [40]
 فخاض في المسالك العلمية ونال منها غاية الأمنية
 وبدره تم بلا نقصان إذ صار من فرسان ذا الميدان
 أخذ عن جمع من الأئمة الكاشفين كل مدلهمة
 والدنا هو الإمام الأكبر والشيخ جعفر الإمام الأشهر
 روض علوم أينعت أزهاره وعذبت لوارد أنهاره
 وعالم علامة مشارك ليس له في عصره مدارك
 قد كملت أخلاقه الجميلة وجملت أوصافه الجليلة
 مع اتباع سنة المختار فكل أمره عليها جار
 والزهد والسورع والعرفان فما له في وصفه مداني
 له التآليف الكثيرة التي قد عظمت عند الورى وجلت
 تقارب المائة عند العدة أكرم به من والد وجد
 سوى الذي من ذاك فيه ورقة وما أجل صفه ونسقه
 له كرامات يطول سردها يُعجزُ ذا القول البليغ عدها
 لكنه يجب ذكر بعضها فذاك أحلى عندنا من رفضها
 منها ظهور خاتم النبوة في كثفه الأيسر دون شبهة
 وغيرها مما يطول عده والقصد الاختصار ليس ضده
 أخذ عن جمع من الأكابر ذوي التقى والمجد والمفاخر
 كشيخه الفرد ابن عبد الرحمن الحُجْرَتِي ذي الفضل ثم العرفان
 والعالم الكبير عابد السلام بوغالب الحسوني بدر التمام
 وسيدي علي بن ظاهر والمدني ذي الكمال الباهر
 كما أجازة أبونا الكامل وهو المديج لدى الأفاضل
 وغيرهم من علماء فاس الطيّبي الأعراق والأنفاس
 وإن تشأ [تنل] تمام المطلب فانظره في فهرسه المذهب
 وعنه جل أهل هذا العصر من كل عالم جليل القدر

أدام مولانا به النفع العميم
له من الإخوة أربع لهم
محمد وأحمد علي
أما محمد وعبد الوارث
ولمحمد أبو بكر الرضى
ولجميع عقب زكاه
وعابد الوارث خلف ابنه
ثالث الإخوة: الهمام أحمد
ذو الفضل والعفاف والدين المتين
أخذ عن شيخه ذي الصلاح
الشيخ سيدي محمد الشهير
رابع الأخوة: علي المرتضى
يا ربّ رده بخير للوطن
والدهم: أبو العلا إدريس
كان هماما بطلا مفضالا
وكان عدلا بالسماط صالحا
كان له أخ يسمى المنتصر
لم يتزوج قط فيما ذكروا
وآخر يدعى أبا حفص عمر
كان عليا قدره وفخره
منورا مهذب الأخلاق
خلف ذا الأخ الأخير عقبا
أولهم: أبو علي الحسن
له مزايا جمّة تستحسن
وهو عدل بسماط فاس
له محمد كذاك الطاهر
أما محمد كبير الإخوة

وحفه بالحفظ من شر الرجيم
فضل به ربهم قد خصهم
كذاك عبد الوارث المرضي [41]
فدرجا إذ البقا للوارث
محمد الطائع كل مرتضى
من خلق العبد ومن سواه
محمدًا أغلى الإله شأنه
المتعبد الزكيّ الأرشد
والنهج فيه لطريق المهتدين
والعلم والنجاح والفلاح
وهو ابن إبراهيم ذو القدر الكبير
للحج في ذا العام راح ومضى
واحفظه في مقامه وفي الطعن
بحر النداء والجوهر النفيس
نور النبي في وجهه تلالا
ذا متجر في الصالحات رابحا
وجذبه عند الأنام قد شهر
له مناقب غدت لا تحصر
وهو الذي رُبّع المعالي قد عمر
عدلاً وصالحاً شهيراً ذكره
وأخذ الورد عن الحراق
أربعة من الذكور نجبا
ذو الشرف الباذخ والهدي الحسن
وخلق مهذب مستحسن
مع التحري طيب الأنفاس
وعابد الرحيم ثم عمر
فهو من شهود هذي الحضرة

والسيد الطاهر ذو حال حسن
وقد تصدر لنشر العلم
وعابد الرحيم ثم عمر
ثانيهم: حمزة ذو الفخار
ملازم الأذكى والأوراد
ويذكر البعض من الأنام
له محمد كذاك الطيب
ثالثهم: محمد المأمون
وله شعر وسط وألفا
وكان عدلا من عدول فاس
ثم اعتراه بعد ذاك جذب
وقد توفي قبيل ذا الأوان
وخلف ابنه الصبي سيدي
رابعهم: محمد البدر السني
له ابنه محمد الصغير
والد الأخوة الثلاث: ذو الجمال
الطائع الشهير بالمسلطن
كان وليا صالحا ذا معرفة
وكان ذا جاهة وتؤدة
له أخ محمد الملقب
كان وليا صالحا زكيا
خلف ذا الأخ ابنه الكريما
كان وليا صالحا موصوفا
وهو خلف من الأولاد
وهم: محمد وعبد القادر
أما محمد فكان صالحا
له كرامات كثيرة ذكر

مع حياء ووقار ولسن
رزقه الله سديد الفهم
كلاهما طالب علم خير [42]
شيخ عليه سمة الأخيار
وفضله لدى الأنام بادي
له كرامات كبدر سام
وأول في آتنا معقب
مدرس معتبر مأمون
في رهطه الذي سما مؤلفا
معتبرا عند جميع الناس
لازمه حتى دعاه الرب
عليه رحمة الرحيم المستعان
إدريس ذا الشرف ثم السودد
ذو أدب وخلق مستحسن
حفظه إلهنا القدير
والنور والجلال أيضا والكمال
لهيبة بوجهه المستحسن
وخشية منها العيون ذارفة
مع كرامات كثير المحمودة
بالزمزمي ذو التقى المهذب
وفاضلا وناسكا سنيا
سيدنا مولاي إبراهيم
بكل خير وبه معروف
ثلاثة سادوا على الأسياد
وعابد الرحمن ذو المفاز
وغائب في جذبه وفالحا
في "سلوة الأنفاس" منها ما ندر

ليس له مع عابد الرحمن وخلف السيد عبد القادر
 أبوهما أبو العلا إدريس كان حسيبا فاضلا نزيها
 له أخ يعرف بالتهامي أبوهما محمد الملقب
 كان من أهل الخير والصلاح له ثلاثة من الإخوان
 وسيدي الفضيل؛ أما أحمد ولم يعقب، وله الأخ الأجل
 وهو خلف من الأولاد كذلك المهدي وإسماعيل
 أما الرشيد فله ابنه الحسن ثاني الأخوة الذين شادوا
 كان وليا سيدا مجذوبا أخذ أولا عن الشيخ الأجل
 ثم عن الخالي من الدعاوي له كرامات كثيرة العدد
 خلف عابد السلام والحفيد ومات الأول عقيما، والحفيد
 وهو خلف سمي جده وهو بفاس من ذوي العدالة
 وثالث الأخوة وهو المهدي وكان مجذوبا ملامتيا
 ولم يعقب، وكذلك الرابع خامس الأخوة سليمان وقد
 وكان سالكا طريق الرشيد من عقب في هذه الأزمان
 محمد البدر المنير الزاهر السيد المذهب الرئيس [43]
 وديننا بركة فقيها ولم يعقب ذو مقام سامي
 بالزمزمي السيد المقرب والفقه والكمال والنجاح
 أحمد والعربي كبير الشأن فخلف الغالي نغم السيد
 السيد الحفيد ذو فضل كمل السيد الرشيد مع حماد
 ثم سليمان الرضى النبيل وهو له الخضر ذو الهدى الحسن
 رُبِع المعالي سيدي حماد مولها مقربا محبوبا
 القطب مولانا علي الجمل العربي بن أحمد الدرقاوي
 شهيرة بين الأنعام لاتحد ولم يكن له على دين مزيد
 خلف نجله محمد الفريد أولاه ربه جميل رفده
 ورفعة الهمة والجلالة كان وليا صالحا ذا مجد
 معتقدا معظما سنيا وليس فيه عندنا منازع
 كان وليا صالحا دون فند له كرامات سمت عن عد

قد خلف العباس من مات عقيم وكان ذا وجاهة وذكر له سليمان الفقيه الأرشد ولسليمان السريُّ أحمد وثاني الأخوة: السريُّ العربي أخذ عن محمد القطب الشهير ولم يخلُفْ سوى العباس ثالث الإخوة: الرضى النبيل كان فقيهها ديناً نزيهاً خلف هاشماً وعبد الوافي أما الأخيران؛ فقال من درى وأما الأول: فخلف الفضيل والطاهر الطيب ثم المكي خلف سيدي الفضيل العابد وكان من أهل الكرامات التي وكان أيضاً غائباً مجذوباً خلف نجله الهمام أحمداً وعابد العزيز من قد خلفه وخلف الطاهر هاشماً عمر محمداً خلف ثم الخضرا وهو عليٌّ، ولسيدي الخضري وخلف الطيب أيضاً عقبا وخلف المكي هاشم الجليل وكان ذا سريرة مرضية مع حسن أخلاق وبشر مع لين خلف إبراهيم ثم جعفر أوسطهم عقيم والمبدي

كذلك يحيى صاحب المجد الصميم ونسك في سره والجاهر العدل ثم سيدي محمد [44] جعله المحمود ممن يُحمد ذو الفضل والسود ثم القرب بابن الفقيه السيد الشيخ الكبير ولم يعقبْ دون ما التباس أبو المعالي سيدي الفضيل وخيراً بركة نبيها كذا محمد أخو العفاف من خلفه: لم يعقبْ ذكرًا وعابد العزيز ذا القدر الجليل وعابد السلام دون شك كان ولياً صالحاً وعابداً تخرق للولي كل عادة مقرباً مولها محبوباً ومات عزباً راشداً مسدداً ليس له عقب يا ذ المعرفة ومات الأول عقيماً، وعمر وخلف الأول بداراً زاهراً محمد، حُفِظَ من كل مضر رشيد والمعطي ولم يعقبْ ذا الهمة العلياء والمجد الأصيل وخشية وحلة سنية ثم تواضع مع الدين المتين ثم الكبير السيد المنورا به له ثلاثة فعلاً

هاشم إسماعيل والمأمون
 والثالث الكبير ذو القدر الخطير
 الأوحـد المـهذب الأخلاق
 قد خاض في العلم ونال ما تم
 وهو عدل من عدول فاس
 وله أربع من الأنجال
 الفاطمي والطيب الزكي
 وعابد السلام خلف أبا
 كذلك الشريف، وهو خلفا
 إدريس والرشيد ثم العابد
 والد أولي الإخوة الأربعة
 الصالح البركة الجليل
 كان سريفا فاضلا وليا
 صاهره الإمام مداح النبي
 والشيخ أحمد همام معتبر
 منشأه كان بأرض حلب
 وكان حبرا عالما جليلا
 وكان عارفا علي المنصب
 وكم له من المؤلفات
 وكان ذا نظم بليغ فائق
 ترجمه الوالد في الرياض
 وشيخنا في سلوة الأنفاس
 وقد ألم بجميـل ذكره
 والعلمي في الأنيس المطرب
 بابنته ذات المزايا الفاخرة
 وهي أم الأخوة الأربعة
 فيالها منقبة عظيمة
 هذا السذي الآن له يكون
 ورفعة الشأن مع الذكر الشهير
 الطيب الأنفاس والأعراق [45]
 له وهذا الأمر مما قد علم
 بفضلـه أقر كل الناس
 وقاهم الله من الأوجال
 محمد والسيد المكي
 طالب والغالي ولم يعقبا
 محمدا له ثلاث شرفا
 وقر جمعهم الرب الواحد
 من كملت أوصافه وجلت
 محمد الملقب الفضيل
 معظما محترما زكيا
 الشيخ أحمد الأديب الحلبي
 وقدره عند الوري قد اشتهر
 وكان أيضا شافعي المذهب
 وصالحا بركة نبـيلا
 بفضلـه اعترف أهل المغرب
 ذات المحاسن المرونقات
 يطرب كل صامت وناطق
 وقال فيه كل وصف راض
 في علماء وصلحاء فاس
 القادري ابن طيب في نشره
 فلتنظرنّها تفز بالأرب
 والحسن والجمال، وهي فاطمة
 الصلحاء الفضلاء الجلة
 ونعمة فخيمة جسيمة

حق لنا [به] الهناء والسروز
مخاطبا الشيخ أحمد الشهير
لأجعلن من بنيك الشرفا
كان له الأخ الذي لم يلد
كذا محمد السري الأرشد
ولم يعقب أحمد المذكور
أبوهم هو الجليل الأ مجد
إخوته ثلاثة: علي
وعابد الوهاب، أما الأول
كذا علي والسري الطاهر
أما الأخيران فلم يعقبا
وأول خلف عبد الله
محمد ابن الفقيه الكامل
وهو خلف الولي الصالح
والسيد المكي ثم الطيبا
وأول خلف عبد الله
ثم محمدا كذاك العربي
فشال خلف أحمد وما
والعربي خلف المهدي
كذلك الفرد الهمام الطيب
له علي المكتى: زين العابدين
خلف نجله السري الأنورا
ثاني الإخوة الرضى مسعود
كذلك الحسن ثم الطيب
وعابد الوهاب رابع بني

إذ عمنا قول إلهنا الغفور
بالحلي صاحب القدر الكبير
لو لم يكن لنا سواها لكفى [46]
عبد العزيز ذو السنا والسودد⁽¹⁾
وهو له ابنه السني أحمد
رحمه إلهنا الغفور
السيد العري نعم السيد
ثم الرضى مسعود السري
له أبو طالب المبحل
والسيد الأرشد عبد القادر
والثاني: من تركه ما عقبا
وكان من صحب ولي الله
العارف الشيخ الهمام الواصل
أعني: أبا طالب خير فالح
والثاني والثالث لم يعقبا
كذاك أحمد بلا اشتباه
ومن عدى زين لم يعقب
خلف قط ذكرا فلتعلما
ثم التهامي السيد المرضيا
ثم محمدا وفيه العقب
يعرف بالعابد بين العالمين
محمدا أزكاه من قد صورا
له علي وله مسعود
ثلاثة كلهم ما عقبوا
محمد ذي الخلق المستحسن

(1) بل ولد القاسم الذي لم يلد.

خلف نجله السريّ الأمجداً محمد المعظم الممجداً
 قد كان أيضاً من كبار صحب محمد الشيخ الإمام القطب
 وكان سيداً فقيهاً عالماً مدرّساً معتبراً معلماً
 متصفّاً بالخير والنزاهة والدين والعفة والوجاهة
 خلف هاشماً ولم يعقبا عليه رحمة الرحيم المجتبي [47]
 والدهم هو الرفيع الشأن ذو الفضل والكمال والعرفان
 محمد بالفتح وهو الجامع حرر ذا الفرع بلا منازع

ذكر الفرع الأحمدي الكتاني

له أخوه أحمد المرضي السيد المعظم الزكي
 خلف أربعا من الأنجال محمد الفقيه ذا الإجلال
 كذلك عابد العزيز وعلي ثُمَّتَ إدريس المعظم العلي
 أما محمد فعالم نبيل علامة مؤرخ حبر جليل
 له من المؤلفات "النصرة" كذلك "التنبية" فاعرف قدره
 أخذ عن نجل علي الفاسي وولديه الطيّبي الأنفاس
 خلف نجله أبا العباس ولم يعقب دون ما التباس⁽¹⁾
 وعابد العزيز خلف بنين ثلاثة وهم ذوو الدين المتين
 عبد المجيد عابد الرحمن كذلك أحمد العظيم الشأن
 عبد المجيد خلف المفضلا محمد الملقب المفضلا
 بموته عقبه قد انقطع وفرربي من بقي ولا قطع
 وعابد الرحمن سيد جليل وكان ذا مجد مؤثّل أصيل
 قد أخذ الطريق عن محمد ابن الفقيه السيد المسدد
 خلف نجله أبا العلاء إدريس ذا الفضل بلا خفاء
 كان أربعا ماجدا وجيها وطالبا بركة نبيها
 وهو خلف الجليل القدر محمدا وهاشما ذا السر
 محمد خلف نجلا أفضلا محمد الملقب المفضلا
 مات مراهقا، وأما الثاني فهو من أفاضل الأعيان
 وكان طالبا نجيبا سيذا موفقا مهذبًا مسددا
 خلف نجله العظيم الشأن سيدنا الطائع ذا العرفان

(1) بل عقب، ومن ذريته: الولي الصالح سيدي الوليد بن هاشم بن إدريس بن أحمد المذكور. راجع ترجمته في "النبة".

كان كثير الذكر للإلاه
 وكان سيداً نزيهاً ماجداً
 وكان أيضاً صاحب الدين المتين
 وهو خلف ابنه الوليداً
 فسيدي الوليد خلف الحسين
 وسيدي هاشم خلف عمر
 وعابد العزيز مع محمد
 فعمر خلف نجله الحسن
 وصنوه إدريس وهو الثاني
 بموته انقرض منه العقب
 وللحفيد ولدان وهما
 ثالث الإخوة: السريُّ أحمدُ
 بالفتح كان سيداً ولياً
 وكان أيضاً مستجاب الدعوة
 وهو خلف الولي الأكبر
 وهو الشريف السيد المحبوب
 له كرامات شهيرة على
 والعارف الشيخ الكبير الشأن
 من أجمع الناس على إجلاله
 سيدنا الطيب ذا المعارف
 كان ولياً كاملاً مكملاً
 وظهرت له الكرامات التي
 فلا ترى إلا الذي يقول
 ولابن عمنا الفقيه الأشهر
 مؤلف، وبالغمام الصيّب
 وللوزير السيد الرئيس
 محمد وبابن إدريس عُرف
 ليس له عن ذكره من لاه
 مع تنسك فقيها عابداً
 مطهر الساحة مما قد يشين
 وهاشما وسيدي الحفيدة
 وله عبد مالك من دون مين [48]
 كذاك إدريس السري المعتبر
 وعابد الرحمن كل مهتدي
 له محمد لدى هذا الزمن
 ولده مات بذي الأزمان
 ومن بقي كلهم ما عقبوا
 إدريس مع محمد فلتعلما
 خلف نجلا اسمه محمد
 بركة معتقدا سرياً
 حكاه بعض الشرفاء الجلة
 الصالح الشيخ الهمام الأشهر
 محمد المقرب المجذوب
 ألسنة الناس جميعاً تجتلى
 قطب الزمان الظاهر البرهان
 لما رأوه من عجيب حاله
 وفي سمت عن وصف كل واصف
 وسيداً موصلاً وواصلاً
 ليس لها عند الوري من عدة
 قد عجزت عن حصرها النقول
 محمد المامون نجل عمر
 سماه في المولى الإمام الطيب
 مالك كل أدب نفيس
 مؤلف فيه عليه لم أقف

وسيدي أحمد والتهامي ولم يعقب واحد منهم ذكرٌ⁽¹⁾ فالثاني خلف ذوي القدر الجليل ولم يعقبوا، وأما الأول فخلف الغالي مع محمد وخلف الغالي أبا العلاء كذا محمد، فعند الأول والطيب الصدر له نجلان ولمحمد المعظم النزيه والسيد الغالي سمي جده وثاني الإخوة: محمد الشهير والثاني: خلف ابنه الفريدا فأول له السري أحمد ولم يعقب السري الهادي ثالثهم: ذو القدر الأرفع علي خلف بعد الجواهر المكنونا خلف نجله السري الأرشدا بموته انقرض فرع سيدي والجواهر المعتبر النفيس خلف أربعاً من الأولاد وعمر كذا عبد المالك أما محمد وعبد المالك وثالث الأخوة: عبد الهادي وكان من كبار أصحاب الولي كذا الحفيد ذو المقام السامي إلا الحفيد ثم أحمد الأغبر⁽¹⁾ محمد كذا الحسين والفضيل وهو الحفيد السيد المبجل والسيد الهادي العظيم السودد[49] إدريس والطيب ذا العلاء محمد والحسن البدر علي محمد وعابد الرحمن عبد السلام ومحمد النبيه أولا هم الله جليل رفته خلف بناصر ثمت الكبير محمدا والسيد الحفيدا والثاني نجله الكبير الأوحده ذو المجد والنور السني البادي والهمة العليا سيدي علي أبا المعالي سيدي حمدون الخضر المعظم الممجدا علي المبجل الممجده أبو العلاء سيدي إدريس محمد كذا عبد الهادي فمالهم من عقب هنالك فمالهم من عقب هنالك قد كان سيدا من الأسياد محمد ابن الفقيه الواصل

(1) بل التهامي أعقب أحمد، الذي أعقب محمد والحسن والفضيل، أما أحمد بن محمد؛ فقد خلف الحسن.

خلف طاهر الرضي وهاشما
 كذا محمد بفتح الأول
 أما محمد فخلف علي
 وهو خلف ابنه محمدا
 وأحمد خلف ستة بنين
 بالهاشمي، ثم عابد المجيد
 وعابد الله كذاك عمر
 وكان مجذوباً وفيه العقب
 وهو خلف أبا العباس
 له محمد كذا إدريس
 ورابع الأخوة وهو عمر
 كان فقيها فاضلا نزيها
 خلف هاشما وعابد المجيد
 سيّدنا السريّ عبد الواحد
 كان ولياً صالحاً جليلاً
 خلف نجلين: السري الأكمل
 وهو الهمام عابد الوهاب
 والسيد الفقيه ذا الصلاح
 والكشف والدين وترك الشبهات
 فعابد الوهاب خلف الحسين
 فسيدي الحسين لم يعقب
 ولده وهو الحسين المرتضى
 وثالث الأخوة أيضاً خلفا
 السيد اليزيد ثمّت أخاه
 وسيدي أحمد خلف بنين
 وطاهراً وعابد العزيز
 ولم يعقب أول، والثاني

ولم يعقبا معا فلتعلما
 مع أحمد المعظم المبجل
 ذا المجد والخير مع القدر العلي
 بالفتح، وهو لم يخلف ولدا
 محمد المعروف بين العالمين
 وعابد السلام ذا القدر المجيد
 والسيد الهادي الهمام الأكبر
 وما عداه كلهم ما عقّبوا [50]
 بالذهبي عرف بين الناس
 والطيب المبجل النفيس
 السيد المعظم المنور
 ذا رفعة وعفة نبيها
 والسيد الأوحّد ذا الفضل المديد
 العالي [في] الهمة ذا المحامد
 وخيرا بركة نبيل
 الصالح البركة المبجلا
 منبع السنّة والكتاب
 والعلم والفلاح والنجاح
 سيدنا أحمد رب المكرمات
 والعربي محمدا من دون مين
 وخلف البدر المنير العربي
 بموته عقبه قد انقضى
 السيد الغالي، وهو خلفا
 مولاي إبراهيم من دون اشتباه
 السيد الطيب ذا الفضل المتين
 وعابد الواحد ذا التبريض
 له من الأولاد فرقدان

سيدنا محمدا وأحمدا
كان عقيما والسريّ الأمجد
وعابد الواحد، أما عمر
وسيدي محمد المعظم
والسيد الأرشد عبد الواحد
ورابع الإخوة عبد الواحد
محمدا كان وليا صالحا
أخذ جملة من الأوراد
كالعارف المظهر ما تنوسي
وذي الكمال والسنا القدوسي
ومن لكل باطل دماغ
والسيد العارف ذي الأتباع
وكأبي البنا الولي الصالح
وغير ذاك من أكابر الشيوخ
وعنه قد أخذها جماعة
شيخ المشايخ ذوي العرفان
ونجله الشيخ الجليل الأشهر
والصالح البركة ابن العم
ولم يزل بدره ينمو في سما
والناس كلهم إليه هرعوا
ولم يزل يلقن الأورادا
خلف إدريس الرضي محمدا
وسيدي مولاي إبراهيم
خلف إدريس ابنه وقد مضى
والثاني خلف ابنه محمدا
وخلف الأول طفلاً وحده
وثالث الإخوة عابد الكبير

وثالث خلف أيضا أحما
عمر ثم سيدي محمدا
له محمد السني الأصغر
له أبو العباس ثم قاسم
له ابنه الطيب دون زائد
خلف نجله الهمام الماجد
وعارقا مكاشفاً وفالحا
عن المشايخ ذوي الإرشاد [51]
محمد الشهير بالسنوسي
محمد عُرف بالقندوسي
مولاي عبد الواحد الدباغ
محمد صالح السباعي
ربّ العلا محمد بن صالح
ذوي الثبات والكمال والرسوخ
أجلهم لذي التقى بضاعة
سيدنا الوالد ذو الإتقان
عبد الكبير ذو الكمال الأظهر
حمزة ذو الفضل [العظيم] الجم
معرفة حتى غدا متما
لأخذ عنه كي به ينتفعوا
إلى الممات كل من أرادا
وعابد الكبير ثم حامدا
السيد المهذب العظيم
بموته العقب منه انقرضا
وعابد الله السري الماجدا
لكنه قد مات أيضا بعده
ذو الخلق الحسّن والذكر الشهير

هو الإمام العالم الرباني
قرأ في فاس علوما جمّة
كشيخنا الوالد ذي الإتقان
وحين حجّ مع أبيه الماجد
كالعارف الكبير ذي النور القوي
وبعد ما مات أبوه انّصبا
له محمد وعبد الحي
أما محمد فشيخ مشتهر
قد ضم علم باطن لظاهر
له زوايا جمّة بالمغرب
ولم يزل إلى الإله داع
حتى به قد عم الانتفاع
أخذ عن جمع من المشايخ
أجلهم شيخ الأنام والدي
ونجّله محمد الإمام
وعنه قد أخذ جمع وافر
له من الأبناء السري المهدي
وعابد الحي همام فاضل
وبرواية الحديث قد عني
وكُتِبَ فيه له عديدة
له شيوخ جمّة بالمغرب
وقد أجزى من شيوخ المشرق
وعندما حجّ أخوه استخلفه
وأحمد لازال في سن الصبا
وحامد له ابنه إدريس
وخلف السيد إبراهيم
تنبيه: قد ترجم للمعظم

ذو الفضل والكمال والعرفان
على المشايخ هداة الأمة
ثم المسنّ أحمد البناني
أخذ عن جمع من الأماجد
سيدنا عبد الغني الدهلوي
يلقن الورد لمن قد رغبا
كذلك أحمد بدون لي
ويحره على الدوام منهمر [52]
منور القلب جميع الظاهر
ليس لبدر حسنّها من مغرب
وفي الذي يرضاه منه ساع
وكثر الخدام والأتباع
طودهم لدى العلوم شامخ
مولاي جعفر أبو المحامد
الحافظ المحدث الهمام
شرقًا وغربًا ماله من حاصر
كذلك الباقرون زيد
بفضله قد شهدت دلائل
وجد في تحصيله ولم ين
كأنها جوهرة فريدة
يسمو بهم فخرا لأعلى منصب
فبدره بذاك أبهى مشرق
على التلاميذ فنال شرفه
جعل للنفع به منتصبا
حفظه إلهنا القدوس
محمدا كذلك إبراهيم
سيدنا الوليد نجل هاشم

سيدنا الشيخ الإمام جعفر وقد جهلت الآن أين يذكر⁽¹⁾
 كان ولياً كاملاً مجذوباً وصالحاً مقرباً محبوباً
 وكان ذا كشف وإخبار بما غاب عن الناس كما [قد] علما
 ترجمه في "سلوة الأنفاس" أيضاً بلا شك ولا التباس
 هذا وقد كمل فرع أحمد أخي محمد الهمام الأ مجد
 كلاهما ابن صاحب القدر العلي ذي الشرف الباذخ مولانا علي
 وهو ابن قاسم ابن مولانا أبي فارس عابد العزيز الطيب
 السيد المقرب المحبوب المجتبي للحضرة المجذوب [53]
 كان ولياً صالحاً مكاشفاً معظمًا عند الوري وعارفاً

(1) بل هو الوليد بن هاشم بن إدريس بن أحمد ابن العالم الفاضل أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي الكتاني.

ذكر الفرع المكناسي الكتاني المنقرض، ورفع عمود الشرفاء الكتانيين

له أخوه صاحب الذكر الشهير الأفاضل المنيف ذو القدر الكبير
سيدنا أبو الجمال طاهر السيد المعظم الموقر
خلف نجله الهمام الأكبر السيد الطود المنيف الأشهر
وهو أبو الحسن سيدي علي ولم يعقب وهما ابنا الأفاضل
السيد المعظم الشهير الماجد المفضل الخطير
محمد القادم من مكناس على مدينة الجدود فاس
كان وليا صالحا كبيرا معظما بين الوري شهيرا
مشتغلا بنفسه مع خشوع ثم تواضع وذكر وخشوع
والزهد والورع والصمات وكثرة الصيام والصلاة
كان لذا القادم من مكناس أخ ثوى بها بلا التباس
وهو أبو العباس أحمد وقد خلف عبد الواحد الحبر السند
وهو خلف أبا العباس أحمد ذا القدر العلي الراس
وهو خلف علي الأمجد السيد المعظم المسددا
وهو خلف أبا المفاجر أحمد مع مولاي عبد القادر
وخلف الثاني سيدي علي وخلف الأول ذا القدر العلي
وهو أبو طالب الزكي وله عبد قادر علي
فأول: له السري أحمد وله عبد قادر محمد
ومنهم انقطع فرع أحمد أخي الولي سيدي محمد
أبوهم القاسم عبد الواحد والده نجل علي الماجد
ابن محمد بن سيدي علي وهو ابن موسى بن أبي بكر العلي
ابن محمد بن عبد الله ابن الهمام السيد الأواه
سيدنا الهادي الرفيع الشأن ذي الفضل والكمال والإحسان

ابن الشريف الفاضل الأصيل الكامل الممجد الأثيل
سيدنا يحيى أمير الناس بذاك يعرف بلا التباس
ف قيل: كان ملكًا، وقيل: بل لماله من المهابة كمل
ابن الإمام الصالح الولي مولاي عمران الرضى السمي [54]
ابن الولي الصالح الجليل حاوى الكمال عابد الجليل
ابن الإمام السيد السمي يحيى الأمير المرتضى السني
ابن أمير المؤمنين يحيى من لشريعة النبي أحى
ابن الإمام الأكبر الممجد مالك كل شرف وسودد
سيدنا محمد الخليفة من خصّ بالشمائل اللطيفة
أوصى له أبوه بالخلافة وما أراد ربنا خلافه
فقام فيها أحسن القيام بغاية الجد والاهتمام
وهو ابن من قد ظهرت أسرارهُ وسَطَعَتْ على الورى أنواره
وقدره بينهم قد اشتهر وبحره على الدوام قد همر
قطب الورى أبى العلا إدريس مالك كل مظهر نفيس
من كل مدح في جنابه يسير ولو أتى بألف سفر فقصير
وهو ابن محيي سنة الرسول ممدّد كل رائد بالسول
من فتح الله به مغربنا وعمه به سرورا وهنا
قطب الورى وبضعة المختار ومعدن الأسرار والأنوار
من لا تفي بوصفه الأعلام وحرار دون بعضها الأعلام
سيدنا إدريس نجل الكامل سيدنا عبد الإله الكامل
ذي الفضل والأفضال والإجلال ومعدن الكمال والجلال
حائز فضل الحسنين كله المقتدى بقوله وفعله
ابن الإمام الحسن المثنى مالك أسمى شرف وأسنى
ابن الإمام أول الأقطاب ومعدن الحكمة والصواب
سبط النبي ذي الكمال الحسن نجل عليّ ذي المقام الأحسن
ليث الوغى وسيّد الأبطال وباب علم سيّد الإرسال
وصهره ثم أخيه المصطفى ورابع الصحب الهداة الخلفا

وأول الصبيان في الإسلام وكم له في الفخر من مقام
 قد نزلت في حقه آيات هي على رفعتة آيات
 وصح عن خير الورى آثار بهاله قد شُيد المنار
 ولم يرد في غيره عنه كما وَرَدَ فيه، قاله من عَلِمَا [55]
 ونجل ذات المنصب السمي ثم السناء والسنا السني
 فضلى النساء مطلقاً على الذي نختاره وهو الصواب فاحتذي
 ذات الخصائص التي لا تحصرُ والفضل والنور الذي لا ينكرُ
 مولاتنا فاطمة البتول بنت النبي المصطفى الرسول
 محمد سيد الأنبياء وخير أهل الأرض والسماء
 وهو ابن عبد الله ذي المقدار والفضل والجمال والفخار
 من جُمِلت أوصافه وحُسنت أخلاقه بين الورى وكُمِلت
 صلى عليه ربنا وصحبه وآله وكل أهل قربه

الخاتمة

خاتمة هذي وما أحسنها
نقلتها من "درة التيجان
للعالم المحقق الدلائي
تبركا بلفظه الشريف
وللذي لها من المناسبة
قال حباه ربنا رضاه
"خير البيوت بيت آل المصطفى
وخير آل البيت عند الله
أحظاهم أرضاهم في العمل
أشرفهم أعرفهم بالله
الواقفون عند ما به أمر
فإن تقوى الله خير ما اكتسى
وإن حرمة الرسول أعظم
وحقه على الجميع واجب
لما أتى الحق الرسول ودعا
أول من سبق في الإنذار
الأقربون خصهم وعمما
حتى دعا الواحد بعد الواحد
كفاك فيه شاهداً مبيناً:
فهم أحق الناس بالتعظيم
وحفظ حرمة الرسول المصطفى
ولا كرامة كتقوى الله
لا ينبغي لبضعة المختار

أسأل ربي بالنبى حسنهما
ولقطة اللؤلؤ والمرجان
من لم يُخَض بحره بالدلاء
ولبديع حسنهما المنيف
ولعظيم النفع فيها قاطبة
وعمه برحمة تغشاه:
ساداتنا أهل الوفاء والنصفا
أفضلهم أتقاهم لله
أقربهم أبعدهم من زلل
الحافظون لحدود الله
العالمون بالكتاب والخبر
به الشريف وارتضاه ملبسا
وحفظها على بنيه ألزم
وفي بنيه الأقربين أوجب
وأمر الله به أن يصدعا
وقدم الرسول في الأعذار
بنينا وعممة كذاك عمما
ولم يغادر منهم من أحد
أنذر عشيرتك الأقربيننا [56]
ورعي هذا الجانب العظيم
في الاتباع والقيام والوفا
تكون في بيت رسول الله
وطلعة الأسرار والأنوار

أَنْ تَطَّلِي بِقُذْرِ الْمَعَاصِي وَيُلْبِسُ الشَّرِيفُ ثَوْبَ دَنَسٍ
 وَيَنْسِبُ السُّوءَ لآلِ الْحَسَنِ لَوْلَمْ يَكُنْ إِلَّا الْحَيَاءُ لَكُفَى
 وَاللَّهِ مَا يَسْمُو بِهَذَا النِّسْبِ إِلَّا التَّحْلِي بِمَحَاسِنِ الْخُلَى
 حَتَّى يَكُونُوا كَبَدُورٍ فِي سَمَا فَعِنْدَ ذَاكَ تَكْمِلُ الْخِصَالِ
 وَتَنْزِعُ الْفُرُوعَ لِلْأَصُولِ وَيَلْتَقِي شَرَفَ الْاِكْتِسَابِ
 فَهَذِهِ وَصِيَّتِي لِلْأَلِ إِنْ قَبِلْتَ فَذَاكَ مِنْهُمْ كَرَمًا
 وَغَيْرَةُ الْعَبْدِ عَلَى ذَاكَ الْحَمَى أَنْطَقَتِ اللِّسَانَ وَالْجَنَانَا
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّرَائِرِ هِنَا انْتَهَى كَلَامُهُ النِّفَيسِ
 طَوْبِي لِمَنْ بِحَسَنِهِ تَجَلَّى لِلَّهِ مَا أَحْسَنُهُ وَأَفْخَمُهُ
 وَفَقْنَا اللَّهَ لِكُلِّ خَيْرٍ يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا
 وَتَبَّ عَلَيَّ تَوْبَةً نَصُوحًا وَنَوَّرَنِّي بِإِطْنِي وَظَاهِرِي
 وَعَرَّفَنِي بِعُلاكَ مَعْرِفَةٍ تَصَحَّبَهَا لَكَ مَشَاهِدَاتِ
 مَعَ السَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ وَاجْمَعْ فُؤَادِي رَبَّنَا عَلَيَّكَ
 وَارْفَعْ مَنَارَ دِينِنَا الْمَحْمَدِي

وَيُوسَمَ الشَّرِيفُ بِاسْمِ الْعَاصِي مِنْ بَعْدَمَا كَانَ بِأَزْهَى مَلْبَسِ
 لِلَّهِ مَا أَعْظَمُهُ فِي الْأَلْسَنِ مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
 وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ هَذَا الْمَنْصَبِ مَعَ التَّخْلُقِ بِأَخْلَاقِ الْعِلَا
 وَنَوْرُهُمْ يَسْمُو عَلَى كُلِّ سَمَا وَيَنْتَهِي الشَّرَفُ وَالْكَمَالِ
 وَتَظْهَرَنَّ سِمَةُ الرَّسُولِ مَعَ شَرَفِ الْأَصُولِ وَالْأَنْسَابِ
 نَصِيحَةَ الْخِدْمِ لِلْمَوَالِي أَوْ لَا؛ فَلَا عَثْبٌ عَلَى مَنْ خَدَمَا
 وَالنِّسْبُ الْمَحْمَدِي الْمَحْتَمَى لِلْعَبْدِ حَتَّى أَرْسَلَ الْعِنَانَا
 وَيَفْتَحُ الْقُلُوبَ وَالْبَصَائِرَ وَحَسَنَهُ لَيْسَ بِهِ تَلْبِيسِ
 وَعَنْ خِلَافِ ذَاكَ قَدْ تَخَلَّى وَمَا أَجَلَ قَدْرَهُ وَأَعْظَمُهُ
 بِفَضْلِهِ فِي سَرْنَا وَالْجَهْرِ هَبْ لِي عِنْدَكَ مَقَامًا حَسَنًا
 فَلَا أَرَى مِنْ بَعْدِهَا جَمُوحًا وَأَصْلَحَنَّ أُولِي وَآخِرِي
 لَيْسَتْ تُرَى عَنْ حَضْرَتِي مَنْصَرَفَةٌ [57] تَكُونُ لِي مَعَهَا مَكَالِمَاتِ
 أُخْرَى وَفِي الدُّنْيَا إِلَى الْوَفَاةِ حَتَّى أَكُونَ دَائِمًا لَدَيْكَ
 وَانْصَرِهِ يَا رَبِّ دَوَامَ الْأَمَدِ

ودمّرنا أعداءنا تدميرا
وكل ما للمسلمين كادوا
بجاه أفضل الوري محمد
وقد تناهت دونما تواني
كاملة التنقيح والإتقان
تكاد من عذوبة الألفاظ
سنة ست عشرة مع ثلا
سوى مزيد حاز كل زين
فأحمد الله الذي يسرّها
وبصلاة الله والسلام
ما نال كل واصل وصالا

ولا تُحَلّ منهم نفيرا
رب إلى نحرهم ينقاد
وآله وصحبه والمقتدي
مُحَكِّمَةُ الأسوس والأركان
واضحة الألفاظ والمعاني
تشرّبها مسامع الحفاظ
ثمائة وذاك لألف تلا
أبياتها راقّت بدون مين
ومنه أرجو نفع من نظرها
على النبي وآله ختام
وازداد كل كامل وصّال[58]

الفصل الرابع

مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

وآل بيته الكرام

ومدينته العامرة

- 1 - قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- 2 - قصيدة في ختم شمائل الترمذي.
- 3 - قصيدة في مدح السيدة فاطمة الزهراء.
- 4 - "إظهار ما بطن من حب الوطن" [59].

1 - قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم

كان لسيدي عبد الرحمن الكتاني حب شديد للمصطفى صلى الله عليه وسلم وتعلق بسنته وتعاليمه. وقد طلب منه بعض الأقارب نظم قصيدة في مدحه صلى الله عليه وسلم فقال مبتدئا وغير مكتمل:

قيل لي: قل؛ تفرز أجلّ مديح في جناب النبي خير مליح
قلت: حيث الإلاه أثنى عليه فلقد جل قدره عن مديحي
كيف يحصي مديحه قط شخص أو يدانيه بالنظام الفصيح؟!
يا رسول الإله عجل شفاء لفؤادي من الذنوب جنريح
ماله ملجأ سواك وحاشا أنت بحر الندى العميم الفسيح.
صل يا رب ثم سلم عليه وذويه وصحبه [أهل الصروح] ⁽¹⁾ [60]

2 - قصيدة في ختم شمائل الترمذي

كان سيدي عبد الرحمن الكتاني كثيرا ما يحضر دروس الحديث في جامع القرويين وفي غيره من المساجد التي كانت في ذلك الحين مدارس لنشر العلم والدين بين الخاصة والعامة. وقد ألقى هذه القصيدة على لسان بعض أصحابه في ختم الفقيه السيد التهامي المكناسي لشمائل الترمذي، وهي من البحر الخفيف:

حدث الصَّبَّ عن صفات الحبيب وأعدها على الفؤاد الكئيب
حيث لم يسمح الحبيبُ بوصل فسماع الحديث عنه نصيبي
لا تخف عاذلاً يلوم فإنني لست أصغي لعاذل ورقيب
ليت شعري متى رأى العينَ جدّت بي سيرا إلى حماه الخصيب
تقطع القفر والمهامه حتى عند خير الورى يحل نجيب
أكرم العالمين طراً فقل فيه الذي لذّ من بليغ النسيب
ماله في الورى نظير وحاشى أن تضاهى صفاته لمُنِيب
عن بلوغ الكمال في مدحه قد قال بالعجز كل شخص أديب

(1) لم تكتمل القصيدة، فجبرناها بما ذكر. مصحح.

فهو فرد الأنام ذاتاً ووصفا ليتني نلت رؤيةً من سناه
 فيها يشتفي الفؤاد يقينا وإذا فاتني جمال المحيا
 من كتاب "الشمالك" الفائق اليا للإمام الهمام ذي القدر الرا
 من علا قدره علو سماء حامل السنة الشريفة ذي
 ذي المعالي محمد الترمذي جعل الله منه في كل وقت
 فلقد قرط المسامع منا وحبانا بذا الكتاب، حباه الله
 إذ ختمناه خير ختم على الشيخ من غدا مالكا جميل السجايا
 ذلك العالم التهامي من يُعزى زاده الله رفعة وجلالا
 ولقد كان ذلك الختم في جمع سادة أشرق بهم أرض فاس
 سيما السيد الكبير الذي ازدا حاز كل الكمال طفلاً فطابت
 حفظ الله بدرهم من خسوف وحبانا برحمة وبغفرا
 بالنبي المذهب المجتبي خير صل يا رب ثم سلم عليه
 وعلى الآل والصحابة ما غنى وشدا منشدا يقول جهارا
 وبهذا أقر كل مصيب في حضوري وعند كل مغيب
 وأنال الغنى بها عن طبيب لم يفتني سماع وصف الحبيب
 قوت في حسنه البديع العجيب سخ في العلم واتقاء الرقيب
 بل سما فوقها بدون قريب الحفظ والإتقان والفخار الرحيب
 نجل عيسى بن سورة ذي النجيب رحمت تغشاه دون لهيب
 بالذي فاق نغمة العندليب حوراء ذات ثغر شنيب
 الفقيه الأرضى الهمام الحبيب [61] وله في العلوم أوفى نصيب
 لمكناس ذي البهاء القريب في بعيد من الورى وقريب
 بدا فضلهم لكل أريب هب منهم على الورى عرق طيب
 ن به العصر ذو الجمال المهيب منه لخلاق طيب ورد نصيبي
 ووقاهم شر العدا والنحيب ن ذنوب لنا أجل مجيب
 البرايا طرا دون ضريب ما رقى فوق منبر من خطيب
 حمام من فوق غصن رطيب حدّث الصّبّ عن صفات الحبيب

3 - قصيدة في مدح السيدة فاطمة، رضي الله عنها

قال سيدي عبد الرحمن الكتاني: الحمد لله، وقلت في مدح مولاتنا فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، لما اقترح علي ذلك ابن عمنا الشريف العارف الرباني مولانا عبد الكبير بن محمد الكتاني، متع الله به:

هبوب الصُّبا يا صاح من نحو كاظمة أثار غراما طالما كنت كاظمة
غرام مدى الأيام يزداد جدة ولو ملت قالت ساحرات اللحاظ: مه
قضى بهيَّامي طول دهري ولوعتي فمئذ قضى لم تبرح النفس هائمة
وما كان ظني أن في العشق راحة ولا أنه تلك الدراية واهمة
فلما ارتوت من مَنهل⁽¹⁾ إلى مهجتي ولم تبق إلا حول ذلك حائمة
تبين لي أن الخليّ من الهوى له الراحة العظمى يقينا مصارمه
وما نال في وقت سرورا وإن غدت بحضرته كل المسرات دائمة
فإن شئت إدراك المعالي فلذّ به وعاند عذولاً ولتخالف عزائمه
فما عاش إلا ذو هوى وصبابة يبيت الجوى طول الليالي منادمه
ومن قد رأى أن الغرام خطيئة فمهجته والله في ذاك آئمة
وليس غرامي واكتئابي بزینب وليلى وسعدى والرباب وناعمة
فمن كان بالببيض الكواعب مغرما فنفسي عن وصل الكواعب واجمة
فدع عنك ذكر الغانيات فإنما أحاديث ذكراهن ليست بسالمة
ولكنما وجدي وفرط صبابتي بمن لم تزل في حضرة القرب قائمة
سلالة خير الخلق والبضعة التي لها كل أفراد العوالم خادمة
مطهرة الأطراف سيده النسّا وينبوع أسرار المكارم فاطمة
فتلك مهة من يؤمّ رحابها ينال من السر اللدني عظامه
ويحظى بأنوار يفوق ضياؤها بدورا لأحلاك الدياجي مصادمة
ويظفر بالكنز الذي لم يفز به فتى ماهر في ذاك أفنى كرائمه
ويرتفع في روض أريض مياحه حلّت وعن النّوّار حلّت كرائمه

(1) في الأصل: متهطل، ولا يستقيم الوزن بذلك. مصحح.

فيا سعد من قد أمّ عامًا ربوعها
 وحل بأعلى حضرة القدس وارتوى
 وكيف وبالزهراء حظّ رحاله
 فتاة على تقوى من الله أسست
 تنجاني إذا جن الظلام فراشها
 تناجي إله العرش حتى إذا بدا
 وكم نَصَبْتُ في طاعة كان رفعها
 إلى خشية لله جل جلاله
 وكم جمعت من شيمة أحمدية
 فأكرم بها من بضعة نبوية
 لها المنصب السامي لها الشرف الذي
 لها الكرم الهاني لها النسب الذي
 لها جَمَعَ الله المحاسن فاستوت
 وما برحت في لحظة ليمينها
 فما في سناها المنتهى وسنائها
 كفها فخارًا: إرثها سرّ أصلها
 فكانت لهذا الأمر نسخة ذاته
 وما نال سر الذات في الكون غيرها
 فكانت ملاذ العارفين ذوي النهى
 وما نورهم إلا أشعة نورها
 لذاك ترى أهل الكمال ببابها
 ببذل وإطراق وإظهار فاقة
 فيصدر كل منهم عن جنابها
 ولا ينثنى عن بابها أحد بلا
 وكيف وقد حازت من الفخر ماتقا
 أسيدتي الزهرا البتول تعظفي
 وبالعفو تقصيري بحقك قابلي
 لقد كشف الرحمن عنه غمائه
 من المنهل الأجلي وحط مآثمه [63]
 فحضرتها أحمى ملاذ وعاصمه
 مشيد مبانيها وأرست دعائمه
 وترأب في محرابها الليل قائمة
 محيا نسيم الصبح تصبح صائمة
 إلى الله حقا عن عوامل جازمة
 تكملُ شخصا ذاهل القلب نائمه
 ومجد على مجد أشادت قوائمه
 لها في الكمال الرتبة المتقدمة
 تسامى فلا شخص يداني مراسمه
 غدا لبناء الكون أعظم قائمة
 على الحسن والإحسان والفضل حاكمة
 شِقْأه صنوف السعد والعز لائمة
 مُدانٍ فأحرى من يضاهي مكارمه
 وذاك له كل الكمالات لازمه
 عليها حلى كل العلى متزاحمة
 وما نال منه الغير إلا نواسمه
 وفي عرف أرباب الدوائر خاتمة
 ومن فيضها أسرارهم متراكمة
 وإن شط مأواهم تؤم معالمه
 وبسط يد المضطر يسأل راحمه
 وقد قرّ عينًا بالذي كان رائمه
 نوال فحاشاها تخيّب ناظمه
 صرت عن أدانيه الليوث الضراغمة
 على مغرم أملى عليك تراجمه
 و جُودي بإقبال يعيد مواسمه

وكوني له في كل أمر معينة ولا تسلميه في القيامة والزمي
ولا تسلمي في القيامة والزمي وحوطي بفضل أرضنا وبلادنا
وقولي: إله العرش دمر جيوشه فقد بلغ السيل الزبى وتكاثرت
وليس لنا حول ولا جَلَدُ به سوى قرع أبواب الرسول وآله
فغوَّثَا أبا الزهراء غوثًا ونصرةً فأنت المرجى في الشدائد كلها
فها نحن يَمُنُّنا جنابك والأسى نؤمل بالزهراء رفع الذي عرى
فنجني ثمار الأنس من نخلاتها فجُدْ واعفُ واصفح عن أناسٍ نفوسهم
فأنت الذي تعفو وتصفح دائماً عليك صلاة الله ثم سلامه
صلاة وتسليماً يعمّ سناهما ولا سيما للقلب هاتي مراهمه
شفاعته إن بان ما كان كاتمه [64] من السوء والإشراك أعظم قاصمة
وخيب مساعيه وعجل هزائمه علينا الأسود الضاريات متاخمة
نصول على ما ناب من كل داهمة بإنشاد أمداح تسامت بفاطمة
لمن قطعت أيدي الأعداء قوادمه لدفع مُلِمَّاتٍ وأسواء هاجمة
أحاطت بنا منه عساكر راغمة وعود ليال حاربتنا مسالمة
ونقطف من ورد المودة باسمه على ما جنوا في سالف الدهر نادمه
عن المذنب العاصي وتمحو جرائمه وآلك يا من جاء للرسول خاتمة
مبادي من يتلوها وخواتمه صلاة وتسليماً يعمّ سناهما

ها [65]

4 - إظهار ما بطن من حب الوطن

كان أمل سيدي عبد الرحمن الكتاني الأكبر الهجرة إلى المدينة المنورة بأهله والالتحاق بأخيه الأكبر سيدي محمد، فقال هذه القصيدة في مدحها والتشوق إليها على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وسمّاها: "إظهار ما بطن من حب الوطن":
شوقي لطيبة كل وقت زائد ولهيبه في باطني مُتَزَايِدُ
والقلب يخفق من طويل بَعَادِهَا والنوم من عيني القريحة شاردُ
والجسم مني ناحل لصدودها والدمع من عيني بذلك شاهد
بجمالها يصبو الفؤاد وكلما ذُكِرَتْ له فزفيره متصاعد
يا ليت شعري هل تجود بوصلها وبها تكون مصادِرُ وموارد

وأجول في أكنافها وربوعها
ويكون لي بين المقام ومنبر
تالله ما حاز المفاخر كلُّها
من حلها أو زارها عن نفسه
طوبى لمن قد جاءها وثوى بها
طوبى له طوبى له طوبى له
هذا له حيًّا، وعند مماته
عجبا لذي عقل سليم ماله
تالله لا عقل لديه ولا حجًا
فالصبر يحمد في المواطن كلها
تفضيلها قد بان للرائي فلا
ما مثلها بلد ولو أم القرى
جلت عن الإحصاء من أمثالنا
هيهات لا يدري حقيقة فضلها
يكفيك من شوق المدينة أنها
وبها تردد جبرئيل إليه بالقر
وبها ثوى مع صحبه إذ هاجروا
وبها مضاعفة الصلاة، فليس من
ودعا لساكنها بضغفني ما دعا
وبها ينال المرء كل فضيلة
وكفى دليلاً قول طه: طيبة
يا رب بلغني إليها سالما
واجعل ضريحي بالبقيع ولا تحل
فالشوق مني زائد لمزارها
كيف السلو وقد أقام بها الحبيب

وأرى ضريح المصطفى وأشهد
للمصطفى خير الأنام مساجد؟
إلا الذي نحو المدينة قاصد
أو زارها قد حطها ويباعد
حتى أتاه بها الحمام الراصد
في كل وقت للضريح يشاهد
زُفْتُ إليه لدى الجنان خرائد
شوق إلى تلك المدينة زائد
لو أنه الحبرُ البليغ الناقد
إلا عليها ليس فيه مساعد
يخفى على من فيه ليس يعاند
نطقت بذاك دلائل وشواهد
أوصافها، أو يدعيه معاند
إلا مشرّفها الإله الواحد
دار الحبيب له هناك مشاهد
آن وهو له به متعاهد
وبها البقيع وقبر طه شاهد [66]
صلى بمسجدها يضاهي مساجد
الله الخليل لمن بمكة وارد
وبها طريق مآثر والتالد
خير لهم، لو يعلم المتباعد
واجعل وفاتي عند ذاك تساعد
بيني وبين مجيئها⁽¹⁾ يا واحد
ليس السلو له لدي مقاعد
وكل حب للحبيب فرائد⁽²⁾

(1) في الأصل: مجيئها، ولا يستقيم. مصحح.

(2) الرائد: الطالب.

حاشا لقلبي عن هواها سلبوة
وعلى الحقيقة لا المجاز فما أنا
والله ما شوقي لطيبة إنما
من هام في أوصافه كلُّ الوري
لا حسن في الأكوان يشبه حسنه
خير الوري قدرا وأكثرهم ندى
حاشا يخيب من انتحى ذاك الذي
منه الشفاعة ترتجى في موقف
قد خصه الرحمن قبل وجوده
أسرى به فوق السموات العلى
حتى دنا من قاب قوسين الذي
ورأى الإله حقيقةً بعيانه
حاشا جلالته الكريمة كل ما
وأراه كلَّ محجَّب عن غيره
وحباه علم الكائنات بأمرها
فهو الذي حاز المفاخر كلها
وهو الذي في الحشر يشفع في الوري
وعلى الحقيقة فهو قطب الكون بل
لا شخص يدرك مجده أو فضله
وإذا بليغُ النظم في أمداحه
ماذا أقول وإنَّ باعِي قاصر
لكن قصدي بالمديح تعلقُ
يا ربِّ هب لي منه عطفًا ماله
 واجمع عليك قلوبنا وتولِّنا
 وارزق لنا فيك الفناء عن الفنا
 وتَقَى وإخلاصًا ومعرفة بها
 وافتح علينا منك فتحًا باهرا

فيه اليمين تشبثت والساعد
عن وصلها طول المدى متقاعد
قلبي بمن قد حلها متواجد
حتى بها هام التقى الزاهد
ما ناله ولد بها أو والد
فعلى علاه لا يخيب الوافد
من بحرهِ كل البرايا وارد
والغير يومئذ لذلك فاقد
وحباه فضلا لم ينله ماجد
بالذات منتبها وما هو راقد
ما حل ساحته سواء واحد
ما زاغ منه الطرف حيث يشاهد
في شأنه أضحى يقول الجاحد
لم يخف عنه طارف أو تالد
حتى الأمور الخمس قال الناقد
وله الكمال جميعه متناضد
فجميعهم فيه إليه حافد
سرَّ الوجود وبدره المتصاعد
لو دام طول الدهر فيه يكابد [67]
تعبيره عن ذاك ليس يساعد
والفكر عن تلك المقاصد سامد
بجنابه كي لي تُنال فرائد
حد به ذاك الجمال أشاهد
ولتعطنا ما لا يراه الحاسد
حتى يكون لنا البقا المتعاضد
تنمو لذيَّ عوائد وفوائد
لم يدره في الدهر طرا عابد

واشرح إلى الطاعات صدري واملأني قلبي بحبك ليس فيه زائد
 مع رؤية المختار في سَهَرٍ وفي نومٍ وعَتَي قَطٍ ليس يبعد
 صلَّى عليه الله مع أصحابه والآل ما شمسُ بدت وعطارد

هـ [68]

الفصل الخامس في والده وبعض أقربائه

سلام على الوالد.

قصيدة في مدح الوالد.

تقريظ أول لكتاب "إعلام أئمة الأعلام".

تقريظ ثانٍ لكتاب "إعلام أئمة الأعلام".

تاريخ أول لوفاة والده.

تاريخ ثانٍ لوفاة والده.

رثاء والده.

عتاب لابن الأخ.

سنده عن سيدي عبد الكبير بن محمد الكتاني.

مدح ابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني.

دعوة لابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني.

تهنئة بالعودة من الحج لابن عمه سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

رسالة شعرية إلى الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

مواصلة [69].

1 - سلام على الوالد

كان سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني يحب والده حبا جما. وكان والده يبادل له تلك العاطفة، وكانت العلاقة بين الابن والأب علاقة تلميذ وأستاذ وصديق وإعجاب متبادل: فكتب مرة سيدي عبد الرحمن لوالده مسلما:

يا والدي؛ أهدي السلام مُعْطَرَا مِنْ ذَاكَ حُسْنٌ فِي الْخِيَالِ مَصَوِّرَا
هَذَا خِيَالِي قَدْ سَرَى لِرَحَابِكُمْ يَا لَيْتَ شِعْرِي لَوْ تَبَادَلْنَا السَّرَى

[70هـ]

2 - قصيدة في مدح والده

وقال سيدي عبد الرحمن مادحا والده سيدي جعفر في حياته وداعيا له بطول البقاء في الصحة والعافية. إذ قال: وقلت مادحا مولانا الوالد أطال الله بقاءه في العافية آمين:

باعترافي بقصوري عن مدى	مدحكُم؛ مدحي عُلاكُم قد بدا
ما تأتئى لامرئ في مدحه	حصر أوصاف سناكم أبدا
بل قصارى أمره مادحكم	كلما طلعتُم قد شهدا
قال لا أسطيع مدحا لامرئ	بأبيه جبرئيل سعدا
من يرم حصر علاكم فلقد	حاز جهلا ما له قط مدى
ليس يدري أحد شأوكم	ومزاياكم سوى من أوجدا
غير أنني ذاكر منها الذي	بلغ التعبير عنه المقصدا
ليس ترك الجُلّ مما لم يطق	أحد إدراك كُسل رَشَدَا
يا إمام العصر يا سيدنا	جعفر الحبرُ الهمام المفردا
نجل فرع الشرفا إدريس من	ساد بالعلم وبالفصل ارتدى
الشريف الحسنئ المرتضى	دوحة المجد وينبوع النددا
حزت من بين البرايا رتبة	لم ينل غيرك منها الابتدا
خصّك الله بها دون الورى	جل من أولاكها منفردا

أنت قطب العصر من أممكم نال ما يقصده بل أزيدا
 كيف لا يُدرك ما يرجوه من فضلکم شخص لكم مدّ اليدا؟
 وبکم أشرق الأنوار في غربنا، لولاك كنا في ردى
 فاز من صاحبكم لو لحظة في كلا الدارين حاز السؤددا
 يا إمام الأوليا يا سندي يا ملاذي كلما خفت الردى
 يا شريف العلما يا من به يدرك المرء الذي قد قصدا
 يا كبير القدر يا من مجده جاوز الشمس علوا ومدى
 بالنبي المصطفى⁽¹⁾ خير الورى وبنيه⁽¹⁾ الأتقياء السعدا
 وجميع الصحب والآل ومن بهداكم قد تحلى واهتدى [71]
 جد بوصل منك يشفي غلتي عن قريب وأنلني المقصدا
 ليس لي عن بابكم من رجعة فلتجد بالقصد يا عين الهدى
 لم يخب شخص أتى بابكم وإلى علياكم مد اليدا
 حاشى لله وإفضالكم ماله حصر لدى من شهدا
 هذه شنشنة قد نلتها من جدود بلغوا فيها المدا
 ورثوها كابرا عن كابر عن إمام الرسل طرا أحمدا⁽²⁾
 صلّ يا رب عليه دائما دون حصر ثم سلم أبدا
 وعلى آل وصحب كلما منشدا قال إذا ما أنشدا
 باعترافي بقصوري عن مدى مدحكم مدحي علاكم قد بدا

[72]هـ

3 - تقرّظ أول لكتاب "إعلام أئمة الأعلام"

كان سيدي عبد الرحمن في السنوات الأخيرة من حياة والده يساعده في كتاباته وتدريسه. وهو الذي جمع لوالده سيدي جعفر بن إدريس الكتاني فهرسته

(1) في الأصل: وبقية، والأصوب ما أثبتناه. مصحح.

(2) في الأصل: المختار، وغيرناه للمصطفى لضرورة الوزن. مصحح.

(3) في الأصل: محمدا. مصحح.

المسماة "إعلام أئمة الأعلام وأسائدها بما لنا من المرويات وأسائدها". وقد انتهت كتابة هذا المؤلف في ذي الحجة الحرام عام 1322هـ فنظم سيدي عبد الرحمن هذا التقریظ في أول صفحة من الكتاب:

فهرسّ جامعٌ جليلٌ جميلٌ كامنٌ كاملٌ الكمالات فيه
قد حوى لب ما حوته الفهاريس فذو اللب دائما يقتفيه
صحّ عالي إسناده فاروه عن شيخنا إذنا أو قراءة فيه
حفظ الله مجده وعلاه وحماه عن طعن كل سفيه
وحبا سيدا به قد حباننا كل ما يبتغيه أو يشتفيه
ذاك شيخ الجماعة الكامل الأو صاف إرثا عن جده وأبيه
مفرّد العصر في جميع المزايا جامع الفضل ماله من شبيه
سيدي جعفر بن إدریس نجل الطا نع الكتاني خير نبيه
حفه الله كل وقت بحفظ شامل أهله وكل ذويه
وأطال الإله فضلا بقاءه وحبانا به الذي نبتغيه
وصلاة مع السلام على من نال من ربه الذي يرتجبه
وعلى الآل والصحابة طرا وعلى تابع ومن ينتحيه

[73]هـ

4 - تقریظ ثاني لكتاب "إعلام أئمة الأعلام"

وعند الانتهاء من كتابة المؤلف المذكور ذيله سيدي عبد الرحمن بما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، يقول العبد الفقير الجاني عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، كان الله له، وبلغه في الدارين من كل خير أمله: حمدا لمن رفع بصحيح السند، مقام من توكل عليه في أموره وإليه استند، وعم بأبائيه المتصلة المتواترة، ومواهبه المسلسلة المتكاثرة، من سلك في أفعاله المنهج الحسن ومن لا، ومن ضعف فيه يقينه ومن قوي منا وفضلا، وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد القائل: "ليبلغ الشاهد الغائب"، وعلى آله وأصحابه ليوث الكتائب، ما اختلف مفترق واتفق مختلف، وحن الغريب شوقا إلى ما أليف".

"أما بعد؛ فقد هب نسيم التمام، وفاح مسك الختام، من طبع هذا الثبت الحفيل، ذي المنهل العذب الرائق السلسبيل، لخاتمة العلماء الأعلام، وشيخ مشايخ الإسلام، وقدوة الأنام، وملجأ الخاص والعام، المتمسك بحبل التقوى، الخالي من الدعوى، طود العلم الراسي، الذي ليس له في زمانه ثانٍ، أبي محمد، مولانا جعفر بن مولانا إدريس الكتاني، أبد الله رفعتة، وأيد بتوفيقه فكرته، وذلك بمطبعة المعلم الباذل جهده في الحسن والرونق، السيد العربي الأزرق، بمحروسة فاس، حفظها الله وأهله من كل باس وفاس، وبتصحيح مؤلفه المذكور، لازال محفوظا بالحفظ ما تعاقبت الأعوام والشهور، في ظل السلطان الأعظم، والهمام الأفخم، سلسلة الذهب الإبريز، سيدنا ومولانا عبد العزيز، حفظه الله ووقاه، ووقفه لما فيه رضاه".

"وكان انتهاؤه في ذي الحجة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، من هجرة من خلق على أحسن حال وأكمل وصف، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، في البدء والختام. ولما كمل طبعه، وفاق وضعه، أرخته بهذه الأبيات من بحر الرمل، وإن كنت لا ناقة لي في هذا المَرَبَع ولا جمل، فقلت، وعلى الله توكلت:

نَزَّهُ الطَّرْفَ بِذَا الرُّوضِ الْحَسَنِ واطرد النوم ودع عنك الوَسْنَ
وعلى بابِ جِماه فأقم وإليه منك فَلْتُلُقِ الرِّسْنَ
وانتخب في مدحه ما شئت من أبلغ الأنظام والنثر الحسن [74]
يا له من مُفَرَّدٍ في بابِه كَلَّ عن وصف علاه ذو اللِّسَنِ
مُفَرَّدٍ مِنْ مُفَرَّدٍ في عصره جامع إن لم يكن ذاك فمن؟!
لو رآه المسند الشيخ أبو سالم⁽¹⁾ هام بما فيه كمن
أو رآه ابن أبي جيدة⁽²⁾ ما قال إلا: حبه قلبي سكن
حفظ الله إمامًا أشرقَت شمسُه في الأفق في هذا الزمن
قد حباناً منه فضلاً ثَبَّتَا كل حسن فيه يا صاح استكن
مذ تنأهى طبعه قال جها رَا: لنا تاريخه الثبت الحسن

(1) هو أبو سالم العياشي صاحب الفهرسة المشهورة.

(2) هو عبد القادر بن أبي جيدة الكوهن صاحب الفهرسة المشهورة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الكائنات، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من المؤمنين والمؤمنات، في البدايات والنهايات". [75]

5 - تاريخ أول لوفاة والده

توفي والد الشاعر رحمهما الله بعد العشاء بساعة ليلة السبت 22 شعبان عام 1323هـ ببيته بفاس. فقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مؤرخا:
مُذْ قُضِيَ نَحْبُهُ إِمَامُ الْمَعَالِي قُطِبَ أَهْلُ الْكَمَالِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ
قِيلَ: أَرَخَ. قُلْتُ: أَرَخْتُ: حَيٌّ فِي جَنَّاتِ الْخُلُودِ مَوْلَايَ جَعْفَرُ
هـ [76]

6 - تاريخ ثاني لوفاة والده

وقال سيدي عبد الرحمن أيضا مؤرخا وفاة والده سيدي جعفر الكتاني:
مُذْ أَمَّ مَوْلَايَ جَعْفَرُ دَاعِيَهُ إِلَى جَنَّاتِ قُطُوفِهَا دَانِيَةً
أَرَخْتُ إِذْ ذَاكَ قَائِلًا: إِنَّمَا مِثْوَاهُ حَقًّا بِجَنَّةٍ عَالِيَةٍ
هـ [77]

7 - رثاء والده

لقد تأسف جدًا سيدي عبد الرحمن لوفاة والده الذي كانت تربطه به روابط الروح والعلم والمحبة والإعجاب، فنظم هذه المراثية التي قرأها على قبره رحمهما الله، وذلك في سنة 1323هـ:

عَيْنِي جُودًا لِي بِدَمْعٍ هَاطِلٍ أَسْفًا عَلَى هَذَا الْمُصَابِ الْهَائِلِ
فَلَمِثْلُهُ تَبْكِي الْعَيُونَ دَمُوعَهَا حَتَّى تَشَابَ بِعِنْدَمِ مِتْرَامِلِ
إِنْ لَمْ تَجُودَا بِالْدمُوعِ لَذَا الْمَصَابِ بَ الْمَفْطَعِ الصَّعْبِ الشَّدِيدِ النَّازِلِ
فَدَعَا الْبُكَاءُ مَدَى الزَّمَانِ لِحَادِثِ فَنَظِيرُ هَذَا الْخُطْبِ لَيْسَ بِحَاصِلِ
هَذَا مِصَابٌ دُونَهُ كُلِّ الْمِصَابِ ثَبَّ عِنْدَ ذِي النَّظَرِ السَّدِيدِ الْفَاصِلِ
تَتَفَطَّرُ الْأَكْبَادُ مِنْهُ تَأْسَفَا وَتَرَى الرُّوَاسِيَّ مِنْهُ أُمَيْلَ مَائِلِ

لونا نال بدر الأفق عند تمامه
أو نال شهب الجو في عليائها
أو كان في صخر لُقُتَتْ عاجلا
آه لقلبي من جواه وما الذي
قد مزقت أيدي الحوادث والنوى
لا سيما لا سيما لا سيما
مولاي جعفر بن إدريس الشريف
علامة الأعلام ذي الشرف الأتم
شيخ المشايخ قطب أرباب النهى
مولي الفوائد مرشد الحيران في
بحر طما علما، وغيث قد هما
بالعلم والتقوى سما أقرانه
حاز المفاز والفضائل وارتدى
كملت محاسنه الشريفة كلها
يخشى الإله ولا يخالف أمره
قد كان للإسلام أعظم ناصر
يحمي حماها أن يحل به ابتدا
إذ كان في علم الشرائع آية
لا يختشي أحدا تعظم قدره
متحقق بالزهد والورع الأتم
وله يد بيضاء في عرفان مو
من رام تعدادا لحصر صفاته
أو رام دركا لا ابتداء مقامه
هيهات ليس ببالغ شأوا له
سبحان من أولاه ما أولاه من
ما هو إلا من بقايا السادة السلف
قد كان مدخرا لهذا العصر كي

لرأيته في الحين أسرع آفل
لرأيتها تنقض مثل الوايل
أو بالفرات لما حلا للناهل
تُغنيه آه عن فؤاد واجل
أجزاء تمزيق ليث صائل
موت الإمام المفرد المتكامل
الأوحد العَلَمُ الهمام العامل
الكامل ابن الكامل ابن الكامل
والفاضل بن الفاضل بن الفاضل
أحلاك ليل الجهل منبي السائل
جودا، وبدر قد سما بمنازل
ويلين جانبه وطرح العاجل
ثوب التواضع، فهو أحسن رافل
إذ كان للرحمن أكبر واصل
وعن الهوى المُرْدِيَّ أعظم زائل
وعن الشريعة كان خير مناضل [78]
ع أو يدنس بالهوى والباطل
يمحو سنه دجى الظلام الماحل
في الحق أو يصغي لعذل العاذل
وغير ذا من كل وصف كامل
لانا، لها المرتاب ليس بنائل
نادته: دع فلأنت أعظم واهل
ناداه: خل فلا تؤوب بطائل
شخص لعلياه أشد مطاول
أسنى الخصال الباهرات العاقل
الكرام ذوي الصلاح المائل
يجلي بطلعته ظلام الجاهل

فحبا الإله عباده بوجوده
ثم اصطفاه لحضرة القدس التي
يا ليت شعري من يُبَيِّنُ بعده
من ذا ينيل السائلين مرادهم
مَن ذا يقرر شرح سنة أحمد
مَن ذا يهذب فقه مذهب مالك
مَن ذا نُراجِعُ في مدارك ديننا
لو كان يفدى بالنفوس بذلت
لكن قضي الجبارُ جَلًّا بأن
سبحانه ما للذي يفضي به
قاله يوليه من الرضوان والغفران
وينيله من وجهه النظر الذي
ويديم سر علاه في أولاده
وينيلهم عرفانه ورضاءه
بالمصطفى المختار خيرة خلقه
صلى وسلم ذو الجلال عليه مع
ما قال ذو وجد وحزن منشدا:

فيهم فكان لهم أجل مواصل
جلت وحب بالاصطفاء من ناقل
للناس مشكل معضلات مسائل
ويزيل أصداء الفؤاد الذاهل
بفصاحة تنسيك أفصح وائل
ويديم حمل لواه فوق الكاهل
عن ذاك جيد العصر أعطل عاطل؟
نفسي والبنين وأسرتي وحلائلي
كل الخلق يلحقه الفناء بعاجل
متعقب يأتي له بمعاضل
والرحمات أفضل نائل
هو منتهى طلب الذكي الآمل
ويعمهم بنوالة المتواصل
ويخصّهم بكمال المتطاول
شمس الهدى محيي فؤاد الغافل
أصحابه والآل كهف الوابل
عينيَّ جودا لي بدمع هاطل

[79]هـ

8 - عتاب لابن الأخ

كانت لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مراسلات مع ابن أخيه جدنا العلامة سيدي محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني عندما كان مقيما مع والده في المدينة المنورة. فتأخر عليه مرة بالجواب، ثم وصل الكتاب بعد طول غيبة. فأجابه سيدي عبد الرحمن بتاريخ 20 شوال عام 1331 برسالة رقيقة وقعها بمحبكم عبد الرحمن لطف الله به آمين. وافتتحها بالأبيات التالية:

أتاني جوابُ المحبِّ الأحبِّ يشرُّ قلبي بما قد أحب
فَقَرَّتْ عيوني به إذ بدا ونلتُ كمال المنى والأرب

وخامرني سُكْرُ ألفاظه ومعنى به رائقٌ منتخَب
فأحبب به وارداً قد أتى يبيّن عذر محبّ عتب
فلو كان مني ما كان ما أتيت ببعض الذي قد وجب
وعذرا لَعُثْبٍ محب فما يعاتب ذو الحب إلا المحب
ومن لام في نصحه عمّه فما قد حذا حذو أهل الأدب
ولو كنت قابلته بالرضى لفقت أهالي النهى والحسب
ولكن عفا الله عما مضى وتاب على الكل فيما ارتكب

هـ [80]

9 - سنده عن سيدي عبد الكبير الكتاني

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في نظم سنده إلى "الصحيح الجامع" للبخاري، الإمام الشهير، عن سيدي عبد الكبير بن محمد الكتاني، ونصه:

رويت جامع البخاري الشهير عن الهمام سيدي عبد الكبير
عن شيخه سيدي عبد الغني عن عابد عن صالح الشهير الماجد
عن ابن سنّة عن العَجَل عن شيخه قطب الدين فافهم واعلمن
عن شيخه أبي الفتوح أحمد عن يوسف الهروي عن محمد
عن شيخه يحيى عن الفِرَبْرِي عن البخاري عظيم القدر

هـ [81]

10 - مدح في ابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني

كانت تربط سيدي عبد الرحمن بابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني روابط العائلة والتقدير الكبير لعلمه وورعه وجهاده. فكتب له مرة مشيدا:

أتيت حماك ابن عبد الكبير لعلك تجبر قلبي الكسير
وتمنحني عطفة أرتقي بها مرتقى كل فرد كبير
ويبعد عن خاطري ما به ويسهل [بكم] كل أمر عسير
فجد بالمراد وعجل به فمثلك هذا عليه يسير

وقد طال ما ماظلتني به جلالتم يا ابن عبد الكبير
وما قلّ يكفي ولكنما قليلك قل لديه الكثير
ومني عليك سلام وما يفوق عبيره كل عبير

هـ [82]

11 - دعوة لابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني هذين البيتين محرضا الناس على
اتباع ابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني:

قل للذي إصلاح باطنه يريد في وقت قريب يسير
إن شئت أن تُذكر ما ترتجي لذ بمحمد بن عبد الكبير

هـ [83]

12 - تهنئة بالعودة من الحج لابن عمه سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

ذهب إلى الحج الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني سنة 1321هـ،
فذهب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني عند أخيه الشيخ سيدي عبد الحي بن
عبد الكبير الكتاني ليهنئه برجوع شقيقه قبل ذهابه لملاقاته عند قدومه من الحج
والزيارة، فلم يجده فترك له هذه الرسالة الشعرية اللطيفة:

أهدي إلى المولى الخليفة من كل تسليم لطيفه
أن حاز من كل الكما لات التليدة والطريفة
مولاي عبد الحي من عنه انجلت حجب كثيفة
هذا وإنني جئتكم لوداع حضرتك الشريفة
فوجدتكم قد سرتُم ونأت جلالتك المنيفة
فرجعت مكتئبًا لما قد فات من تلك الوظيفة
فالله يجمعنا بكم في حالة حسنًا ظريفه
والله يحفظكم متى كنتم بصحر أو سفيفة

واقر السلام على الأخ الأسمى ومن أضحى أليفة
 واطلب لنا منه دعا ء في تضرعه وخيفة
 وكذا على مولاي عبد الله ذي الشيم اللطيفة
 ولقد تزايد عنده بنت كجوهرة نظيفة
 واكتب لنا ما قد طلبنا من سيادتك الظرفية
 وعليه خير تحية تغشى مجالسك الوريفة
 من عابد الرحمن قوَى الله فكرته الضعيفة

[هـ 84]

13 - رسالة شعرية للشيخ عبد الحي الكتاني

من عابد الرحمن نجل الشيخ جعفر الشهير علاه الكتاني
 كان الإله له وحلّى سرّه بمعارف كالوابل الهثان
 ينهي إلى الخلّ الجليل المرتضى بل أشرف الأصحاب والخلان
 من ليس تمضي لحظة إلا جرت أوصافه في خاطري ولساني
 العالم العلامة الشهم الذي شهدت له الأقلام بالإتقان
 راوي المكارم كابرا عن كابر عن جده المختار من عدنان
 من خصّه مولاه بالإجلال والإعزاز منه سائر البلدان
 مولاي عبد الحي نجل الشيخ ذي الأعلم السيادة والولاية سيدي
 خير⁽¹⁾ السلام لدى الأماكن كلها نوار والأسرار والعرفان
 هذا وإن تك سائلا عن حالنا عبد الكبير الأحمد الكتاني
 نَعَمْ الإله على الجميع مُقَاضَةٌ يغشاه في روح وفي ريحان
 لا شيء مما قد يشوش بالكم فاسمع لما أُملي من الإعلان
 لكنه تاقت إليك نفوسنا تغشاه في سرّ وفي إعلان
 وحملت من ألم الفراق وبُعْدُكُمْ عند الجميع فكُنْ بذلك هان
 واشتاق حسنك ناظري وجناني ما لا يقوم ببعضه الثقلان

(1) نائب فاعل ينعى في البيت الثالث.

جمع الإله شتاتنا بكم على عجلٍ بلا مهلٍ بذِي الأزمان
بالمصطفى وبآله وبصحبه والتابعين لهم مع الإحسان
وعليك خير تحية من سائر الأ أصحاب والخلان والإخوان
لا سيما مولاي عبد الله نجل محمد بن محمد الكتاني
ولقد تزوج ثانية بنيسة بنت الفقير لربه عثمان
وبنى بها يوم الخميس بدار أخته تاسع العشرين من شعبان [85]
فالله يُثْمِرْ غرسه وينيله من فضله من غير ما حساب
وعلى المحبة طالبا منكم دعا ء صالحا فضلا لدى الإمكان
في عام ألف والثلاث مئتين مع عشرين مع أحد لدى رمضان
في ثالث من بعد عشر منه قد وافاك ذا من عابد الرحمن

هـ [86]

14 - مواساة

ذكرنا في المقدمة تأثير محنة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني واستشهاده يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني عام 1327هـ على جميع أفراد العائلة الكتانية، ومالحق ذلك من تقوّل الحاسدين والحاقدين. فكتب سيدي عبد الرحمن هذه الأبيات مواسيا عائلته:

تقول الأعادي حين حلّ بسادة مصابّ عظيم حيّر العقل وصفه
أما عندكم من خارق وكرامة ينجيكم مما تعسر كشفه
فقلنا لهم: ما للإله مشارك يعارضه في أمره أو يكفه
إذا جرت الأقدار حتماً بمحنة على عبده من خاله عنه صرفه؟
وما محن الأخيار تنقص قدرهم ولولا احتراق العود ما فاح عرقه
على أنها في طيها نعمٌ بدت لمن كان توفيق الإله يحفه
فيشهدها فعل الإله وصنعه فتحلوله، لو كان في ذاك حتفه
ولا يبتلي إلا الذي قد أحبه وعما قريب سوف يحضر لطفه

هـ [87]

الفصل السادس

في أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني

- 1 - رسالة شعرية.
- 2 - تشطير قصيدة ابن المحب.
- 3 - إجازة نظمية.
- 4 - فلازلت محروس الجنب.
- 5 - ما لي على هجر الأحبة من جلد.
- 6 - أتيت حمى محمد بن جعفر.
- 7 - تقرّظ كتاب "النصيحة" [88].

1 - رسالة شعرية لأخيه

كانت تربط سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني بأخيه الأكبر سيدي محمد روابط قوية من المحبة. وكان سيدي محمد يكبر سيدي عبد الرحمن بـ 24 سنة وكان هو شيخه في معظم ما درس لدرجة أنه كان يعتبره والده بعد والده. وقد ذهب سيدي محمد بن جعفر الكتاني في أول حجة له سنة 1321 هـ مع ابنه سيدي محمد الزمزمي وبقي سيدي عبد الرحمن في فاس مسؤولاً عن أهله تحت إشراف والدهما سيدي جعفر. وقد كانت في هذه الرحلة بينهما مراسلات منها هذه الرسالة الشعرية الرائعة:

أزكى السلام وأنماه وأطيبه	ينهى إلى سيد جلّت مناقبه
العالم العارف البحر الهمام ومن	أربت على كل ذي فضل مناصبه
من لا نظير له في العصر يوجد، بل	قد خصّه بجميع الفضل واهبه
سلالة المصطفى وعالم الشرفا	من غيره في علاه لا يقاربه
جلت جلالته عن أن يدانيه	شخص له كسنام المجد غاربه
شيخ محمد نجل الشيخ جعفر من	فاقت بأمداحه الحسنى مذاهبه
عن مدحه قُصِرَتْ كل الورى حينما	طارت على كل موجود مواهبه
هذا وأشواقنا إليك زائدة	في كل وقت وصالكم تراقبه
كم ليلة زارني طيف الخيال وما	شفى فؤادي بل زادت مراغبه
أبيت مع طول ليلي من فراقكم	سهران شوقاً تناجيني كواكب
ومنية النفس وصلاً ليس يعقبه	إلا اتصالاً بلا فصل يعاقبه
نرجو الإله كما قضى بفُرقتنا	يقضي لنا بوصال منه طالبه
وإن سألت عن الأحوال يا أملي	فكل فرد بخير لا يجانبه
لكنّ أفراحنا ليست بكاملة	لفقد نور لمراكم نراقبه
هذا ويقرئك السلام سيدنا	شيخ الوجود أبو الإحسان جالبه
إمامنا الوالد الأجل من خضعت	له الأماجد طرا لا تغالبه
كذاك إخوتنا والعم سيدنا	مولاي أحمد من تزكو عواقبه
وسيدي أحمد بن الشمس صاحبنا	خليفة الشيخ ما العينين نائبه [89]
واقرا السلام لمن قد حل حضرتمكم	طراً سلاماً وفاق ما يناسبه

لا سيما قرة العينين سيدنا محمد الزمزمي المحفوظ جانبه
 وخلصنا العالم التحرير سيدنا محمد العَلَمِي جَلَّتْ مطالبه
 والسيد الشيخ ذو الأفضال سيدنا محمد بن الكبير أو⁽¹⁾ أقاربه
 وشيخنا شيخ هذا العصر حافظه ومن برحلته ازدهت مغاربه
 أعني أبا الحسن بن ظاهر المدني بحرٌ لمن أمه وافست مآربه
 لازال حَفُظُ إله العرش يكلؤه بالنصر والفوز مدحوضا مغالبه
 وإن رفعت إلى المولى الأكف فهب لي من دعائك، إذ يجاب غائبه
 وقل: إلهي طهر من سواك فؤا ده ويوم النشور لا تحاسبه
 واجعل جميع فعاله مسددة حتى تغيب عن الرائي معايبه
 وهب له كل وقت فيك معرفة واسلك به كل ما ترضى مذاهبه
 والله يحفظنا فيكم ويحرسكم بكل وقت فتخطاكم مصائبه
 بالمصطفى المجتبي خير الأنام كذا ذووه قاطبة كذا مصاحبه
 صلى عليه مع السلام خالقه كذا عليهم دوام من تجاويه

هـ [99]

2 - تشطير قصية ابن المحب

سافر سيدي محمد بن جعفر الكتاني مهاجرا بأهله إلى المدينة المنورة عندما
 تردت الأوضاع في المغرب. غير أنه بعد ما نجحت الثورة الحفيفية وكان المغاربة
 يرون فيها جهادا لإيقاف الزحف الفرنسي على المغرب رجع سيدي محمد بن جعفر
 الكتاني إلى مسقط رأسه فاس التي دخلها في يوم 20 رمضان عام 1326هـ،
 فاستقبله الشعراء بالقصائد المرحبة، وكانت من أجمل هذه القصائد: قصيدة الشاعر
 الكاتب الشريف سيدي عبد السلام بن المحب العلوي. فأعجب بها سيدي عبد
 الرحمن وشرها على النحو التالي:

مضت وَخْشَةُ التفريقِ واجتمعَ الأنسُ وأعلنَ باستبشاره الجنّ والإنسُ

(1) أو هنا بمعنى الواو.

وأشرق في أفق المغارب بدره وعاد رياض العلم والفضل والتقى فأصبح يزهو بعد ما كان ذاوياً وعاد من الشرق السعيد ابن جعفر هو الشمس في أفق العلوم حقيقة ففي كل درس للمعارف موسم وفي كل ضرب قد تكامل فضله فبشرى لنا بشرى لنا بقدوم من وأعظم به من أوجد باهر غدا إمام جليل تعرف العرب فضله ويعرفه شرق البلاد وغربها أتى من رسول الله يزجي مواهباً فأكرم بها من منحة نبوية إمام إذا تبدو البلاغة والنهي وإن قام في يوم خطيباً بمنبر إذا ما احتبى في مجلس الدرس خلته فحين تسأله عن عويص تخأله عبارته مثل الصبا، فهبوبها بلى إنها تزري به فهبوبها كأن النجوم الزهر ألفاظه التي نعم إنما ألفاظه التمني في الضحى فيشفي عليل الجهل بعد سقامه ويرشده نحو الصواب بهمة لقد غلب النفس النفيسة عقله ودلت لمولاهما على حكم سرّه

وأقبلت النعماء واستدبر البوس إلى حاله من بعد أن عمه البيس نضيراً به زهر المآثر والغرس مجلى بأنوار جلاها لنا الحس ولا يدع قد عادت لمغربها الشمس وفي كل طرس من مفاخره درس وفي كل درب للمعالي به عرس بطلعته الغراء يرتفع النحاس لعالي بناء العلم والعمل الأس وما نالها في فضله أبداً لبس وتعرفه الأعجام والهند والفرس فمن أمه لا يعتري سعده نحس لها ثمن لا يعتري قدره البخس عليه ترى ما ضاق من شرحه الطرس لديه فلا سخبان يبدو ولا قيس غباباً من الدر النفيس به كدس طبيباً للنبض في المعضل الجس [91] على سامع في الحين صار له الندس⁽¹⁾ تلفح أغصان الفهوم به الملس بها يهتدي من كان منه له يأس تضيء اهتداء والسماء لها طرس فيصبح في أرض العلوم له ميس فيسلم منه الذوق في العلم واللمس فصيرها مرووسة وهو الرأس وكم غلبت من دونه عقله النفس

تقي نقي زاهد متورع له في حدود الله نهضة صادق إليه مددت الكف أرجو إجازة فما مثلها من منحة وعطية إجازته لي تلك جائزة له وصرت يقينا موسرا من نوالها تعم بإذن منه غير مقيد عموما صريحا واضحا لا خفا به وذلك فيما عنده من فهارس ومن طرق السادات طرا بأسرها فحاشي لديه أن يقابل سائلا فما كان في حال مجيبا لسائل فدام لأهل العلم والدين عصمة وأبقاه محفوظ الجنب على المدا بجاء رسول الله أحمد من به وعم الوري أفضاله فببعثه عليه صلاة الله ثم سلامه وأشهد في حالي منامي ويقظتي وآل وأصحاب كرام أماجد بهم أرتجي حسن الختام فقد غدا

جليل جميل لا يعادله قيس يجل به التخمين في الدين والحدس وتلقين أذكّار بها يحصل الرس بها يتسنى الأخذ للعلم والدرس إذا نلتها قد نالني العز والقدس فلا درهم وازى غناها ولا فلس كما عم أهل الأرض من جوده الرغس⁽¹⁾ تساوى بإطلاق به الجهر والهمس أجيّز بها من حبر له لوس⁽²⁾ وتصنيف منه قد نما النوع والجنس بغير الذي يهوى وإن عظم الهجس⁽³⁾ بنهر ورد؛ شأنه الطرد والعكس يدافع عنهم كلما عظم البأس به تحفظ السبع المثاني كذا الخمس تلالأت الأنوار وارتفع الرجس عن الناس زال الشك والريب واللبس صلاة وتسليما به يحصل الأنس رسولا به لطيفة غبط القدس ودادهم فرض على من له حس[92] لنا حبهم من كل ما يختشى ترس

هـ [93]

العبيد الفقير المتطفل على الأعتاب، الواقف بالباب، عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، أصلح الله بمنه حاله، وفك أوحاله.

(1) الرغس: الخير والنماء.

(2) اللوس: اللوق.

(3) الهجس: ما وقع في الخلد.

3 - إجازة نظميه

كان سيدي محمد بن جعفر الكتاني شيخ أخيه سيدي عبد الرحمن ومرييه وقد أجازته بإجازة نظميه كتبها سيدي عبد الرحمن لنفسه باسم أخيه وشيخه سيدي محمد:

أيا مَنْ بحالي نظمته يحصل الأُنْسُ ويطرب من إنشاده الجنّ والإنسُ
ملكْتَ أساليبَ الكلام فشُدَّتْ لديك مبانیه كما أُحكَمَ الأسُ
فأنظّامك الغراء راق كمالها ونشرك أبهى ما يجلّي به الطرس
وقد جاءني منكم نظام كأنه عقود جمان ليس في حسنه لبس
تروم من العبد الضعيف إجازة بها يتسنى الأخذ للعلم والدرس
بكل الذي أسندتُه عن مشايخ كرام إذا عُدِّدْتُهُمْ لَهُمْ طَيْسُ⁽¹⁾
وكل الذي صنفتُه من مؤلَّف على مثله في فنه تُعَقَّدُ الخمس
وها أنا قد أسعفتكم بمرادكم به فلتقر العين ولتطب النفس
فأنت مجاز بالذي أنت طالب فحدث به عني إذا حصل الندس⁽²⁾
أذنتُ لكم إذنا صريحا بكل ما تحمَّلتُه عن سادة لهم قدس
وكل الذي نَمَّقْتُهُ من مؤلَّف جليل من الدر النفيس به كدس
وإن شئتَ تدريس العلوم ففهُ به وأسأل رب العرش أن يثمر الغرس
بشرط التحري في الأمور فكن فتى يجل به التخمين في الدين والحدس
فذاك الطريق الواضح الظاهر الذي يُنَجِّي، فلازمه ففي ضده العكس
وإن أسانيدي بذاك كثيرة إذا عُدِّدَتْ يفنى وما تمت النقس⁽³⁾
ودونك كأسا من معين زلالها سيغنيك عن شرب السوى ذلك الكأس
فعن والدي الشيخ الإمام روايتي لفهرسه السامي علا فهو الشمس
وعن أحمد البناني عن شيخه الإما م عبد الغني الدهلويّ اليانع السلس
وهو روى عن عابد حصر شارد وفيه غنى لا يتعرّى قدره البخس
وعن شيخنا أعني: علي بن ظاهر وما قد رواه لا يحيط به طرس

(1) الطيس: العدد الكثير.

(2) الندس: الفهم.

(3) النقس: الجبر.

فمما روى عن منة الله أحمد عن المالكيّ الشيخ الأمير ولا لبس
 فيها فهرسات أربع قد ذكرتها بها حصل المقصود وارتفع اللبس [94]
 وأوصيك بالتقوى أخي فإنها لصاحبها من كل ما يختشي ترس
 وصل وسلم يا إلهي الذي به طيبة طابت وعم بها الأنس
 وءال وأصحاب ومن قد قفاهم صلاة وتسليماً ينور بها الرمس

هـ [95]

4 - فلا زلت محروس الجنب

كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني رسالة بتاريخ يوم الخميس 28 شوال عام 1325هـ من فاس إلى المدينة المنورة لأخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني قال فيها: "وقد كنت في هذه الأيام قلت أبياتا لزومية، لم أقصد بها معيّنًا، لا باللفظ ولا بالنية، لعدم وجود من ينطبق عليه هنا معناها، فما هي تملى عليك، فلتقبلها حضرتك الكريمة بيمينها:

ملكّت الندى حتى عمّرت يبابه ومدّ على عليك قهرا قبابه
 فما هرّم يحكي نذاك ولو غدا على مُعْتَفِيهِ قد أفاض عُبابه
 فلو كان عينا كنت أنت سوادها ولو كان عُمرًا كنت أنت شبابه
 ولو كان إنسانًا لكنت حياته ولو كان بُرًّا كنت أنت لُبابه
 ولو كان روضًا كنت باسم زهره ولو كان بيتًا كنت والله باباه
 تبارك ما أولاك ربك من ندا يزيل أسى العاني وينفي تُبابه
 فلا زلت محروس الجنب على المدى ولا زلت تولي لكل عاف حُبابه [96]

5 - ما لي على هجر الأحبة من جلد

هاجر سيدي محمد بن جعفر الكتاني للمرة الثانية مع أهله إلى المدينة المنورة سنة 1328هـ، وكان أمل سيدي عبد الرحمن اللحاق به بأهله كذلك، حيث أصبح المستعمر الفرنسي داخل البلاد التي أضاعت استقلالها لأول مرة في تاريخها. فكتب سيدي عبد الرحمن لابن أخيه سيدي محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة بتاريخ 29 ربيع الأول عام 1330هـ ختمها بهذه الأبيات:

ما لي على هجرِ الأحبة من جَلَدٌ تالله لا يقوى لبعدهمُ خلدُ
ظعنوا فمنهم مقلتي هطالة وجوانحي فيها الغرام لقد وقد
كيف التَّصَبُّرُ عنهمُ لموَلَّوْهُمُ بهمُ، وكيف يطيب بعدهمُ البلدُ؟
جمع الإلهُ شتاتنا بكمُ على عَجَلٍ بطيبةٍ بالأهالي والولدُ [97]

6 - أتيت حمى محمد بن جعفر

منعت الموانع العائلية سيدي عبد الرحمن من الهجرة وإن لم يكن ضاع أمله منها، خاصة بعد أن ساعده أخوه سيدي محمد مادياً على ذلك، فأرسل هذه الأبيات سنة 1334هـ إلى المدينة المنورة مادحاً أخاه ومعبراً له عن عواطفه:

أتيتُ حمى محمد بن جعفر لكيما خاطري بالسول يَظْفُرُ
إمامٌ عن فضائله فحدث ولا حرجٌ، فذاك بذاك أشهرُ
سما مجدا وعِلما وارتقاء وحاز رياسة في كل مَظْهَرُ
فكيف يَخِيبُ من وافى حماه لقد أضحي بما يرجو مَظْفُرُ
فيا بحر المكارم والنَدا جُد بعطف وافر للعين يُبْهِرُ
وقل لي: لا تخفِ درَكًا وأُمْلُ سرورًا كاملاً ينسيك ما مر
عليك سلام مولانا يوافي مجادتك الكريمة يا ابن جعفر

هـ [98]

8 - تقرّظ كتاب "النصيحة"

اجتمع سيدي محمد بن جعفر الكتاني قبل هجرته الأولى سنة 1325هـ مع السلطان مولاي عبد العزيز باسم علماء فاس ينصحه. وقال له: "إني كتبت لكم نصيحة عامة إن عملت بها أغنتك". وكانت هي أساس كتابه "نصيحة أهل الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، الخاص منهم والعام" ضمنها المؤلف أحد عشر سبباً من الأسباب التي استوجبت انحطاط المسلمين، ثم أعقب أسباب النجاح. وقد انتهى من طبع هذا الكتاب بعد الرجوع من الهجرة الأولى على الطبعة الحجرية بفاس صبيحة يوم السبت 10 ربيع الأول عام 1326هـ. وقرظه سيدي عبد الرحمن بهذا التقرّظ بعد الانتهاء من تصحيحه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، يقول مصححه العبد الفقير الجاني، عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، جعله الله ممن ليس له عن طاعته ثاني، بجاه من أوتي السبع المثاني: الحمد لله الذي قيض لهذه الشريعة المحمدية في كل عصر من يذب عنها بالبراهين الصحيحة. ووفق من أراد به خيرا لقبول النصيحة. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالمعجزات الصريحة، القائل فيما رواه عنه الثقات: "الدين النصيحة"، وعلى آله وأصحابه، وكل منتسب إلى علي جنابه".

"أما بعد؛ فإن الله تعالى لم يزل يقيض لنصرة الدين رجالاً. كلما وهن شيء من معالمه انتدبوا لتشديد مبانيه عجالاً. وإن ممن أقامه الله تعالى في هذا المقام فكان أسبقهم مجالا، وتصدر لنصح أهل الإسلام، فكان أوسعهم سجالاً، أخونا وشيخنا الإمام، علم الأعلام، شيخ الإسلام، وبركة الخاص والعام، الكامل الوصف، والواحد المعدود بالألف، الفقيه المحدث الصوفي، الذي صافى فصوله.

علامة العلماء والبحر الذي لا ينتهي ولكل بحر ساحل
بين الشريعة والحقيقة جامع متمسك بدعائم الفقهاء
"مولانا محمد ابن شيخ المشايخ، وطود المجد الشامخ، شريف العلماء، وعالم الشرفاء، المتضلع بالعلوم النقلية والعقلية، والمتقدم في العلوم المرضية الشرعية، قدوة الأنام، ومصباح الظلام، شيخنا ووالدنا أبو الفيض مولانا جعفر الكتاني، منحنا الله بجاههما دار التهاني[99]".

"فحبانا، حفظه الله تعالى وأدام عليه نعمه تتوالى، بهذه الرسالة الجامعة، والنصيحة النافعة، التي يحق لها أن تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب، ويسارع إلى اقتنائها وقبولها من أراد تطهير صحائفه من أوساخ الذنوب. وكفاه شرفاً وفضلاً، ودليلاً على ما قام به من جميل الأوصاف، وعلى قيام سيادته بهذا الواجب على الأعيان، سيما في مثل هذه الأزمان. ولا غرو في ذلك، فإنه الجدير بما هنالك. وكيف يستغرب وجود الدر في معدنه، والفضل في موطنه. فالله يجازيه عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به أحداً من فضله".

"ولعمري إن من وفقه الله تعالى للعمل بهذه النصائح. والقيام على ساق الجدِّ

في التخلص من ورطة هاتيك الفضائح، لجدير أن تتوالى عليه من الله تعالى الفتوحات والمنايح، وينال بسبب ذلك عند الله أفضل المتاجر. وفقنا الله لما فيه رضاه. وأرشدنا لاتباع شريعة خير خلقه وهذه".

"وللحرص على عموم نفعها، رغب سيدنا المؤلف حفظه الله في طبعها. فتسابق إلى ذلك الشريفان الجليلان الماجدان النبيلان، الفقيه سيدي محمد التبر ومولاي علي التلمساني، أنالهما الله جميع الأماني. وقد بذلت الجهد في تصحيحها بقدر الاستطاعة، ولم آل في موافقة الفرع للأصل وإن كنت مزجي البضاعة. ثم بعد الطبع نظرت فيها ثانيا. فوجدت ما أوجب أن أكون لعنان بيان الصواب ثانيا. وقد نهبت على ذلك بعد هذا. ليكون لقارئها عند الالتباس ملاذًا. وكان هذا الطبع الفائت. على هذا الشكل الرائق، بحضرة فاس. العاطرة الأنفاس، في ظل الإمام الذي تعطرت الأفواه بثنائه، والبدر الذي يقصر البدر عن مضاهاة سنائه، جامع كلمة الإسلام بعد شتاتها، ومحیی رسوم الخلافة بعد مواتها، سلطان العلماء وعالم السلاطين، المحفوظ إن شاء الله تعالى من نزغات الشياطين، من ألقى إليه هذا القطر المغربي الرسن، أمير المؤمنين مولانا عبد الحفيظ بن مولانا الحسن، أدام الله تعالى صعوده، ووالى عليه صعوده، وأشاد بنوده، وأعز جنوده، وأحیی به سنة جده عليه الصلاة والسلام، وجعلها كلمة باقية في عقبه على الدوام، بالنبي وآله، والبخاري ورجاله".

"ولما تم طبعه على أحسن وصف. في العشرين من شعبان عام ستة وعشرين وثمانمائة وألف، أرخته بهذه الأبيات من بحر الطويل، على حسب ما سمح به الذهن الفاتر العليل: [100]

كتابٌ تبدى نوره فاكتسى الدجا	ضياء، سناه دونه الشمس ضاحية
أبان طريق الحق صادق فجره	وأرشد من يقفوه في كل ناحية
تبدت معانيه لكل مطالع	كما أحكم الشيخ الإمام مبانيه
فلو نظر الأعمى إليه اهتدى به	وأبصر ما لم تستطعه الإمامية
عليك به يا صاحب الحزم واقتفي	جلالته، فالله يرشد قافيه
فما هو إلى جنة فاح عرفها	قُطوف جناها اليانع الغص دانية
تفجرت الأنهار فيها بما تشا	وما في مغانيها وحقك لاغية

جزي الله عنا بالذي هو أهله مؤلفه في سرّه والعلانية
وأبقاه للإسلام يحمي جنابه ويحرسه من كل باغ وباغية
وأرشد للخيرات من كان طبعه بهمة حتى غدا متناهيه
وتاريخ هذا الطبع ينشد دونكم: أويل المعالي ذي النصائح كافية

هـ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا
محمد وآله وسلّم". [101]

الفصل السابع

في الشيخ ماء العينين الشنجيطي

1. ترحيب أول بالشيخ ماء العينين.
2. ترحيب ثانٍ بالشيخ ماء العينين.
3. رسالة إلى الشيخ ماء العينين.
4. تاريخ أول لتأسيس زاوية الشيخ ماء العينين بفاس.
5. تاريخ ثانٍ لتأسيس زاوية الشيخ ماء العينين بفاس.
6. إهداء للشيخ ماء العينين.
7. تقرّظ "سهل المرتقى" و"المفاضل النورانية".
8. تقرّظ "إظهار الطريق" و"قرة العينين".
9. تقرّظ "دليل الرفاق".
10. تقرّظ "تبيين الغموض".
11. تقرّظ "مغري الناظر".
12. تقرّظ "ثمرار المزهري" [102].

1 - ترحيب أول بالشيخ ماء العينين

كان الشيخ محمد مصطفى ماء العينين الشنجيطي المشهور، والمولود سنة 1246 والمتوفى في 24 شوال عام 1328هـ، شيخاً لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني وكانت تربطه وعائلته بالعائلة الكتانية رباط العلم والدين والجهاد في سبيل الله، وكان كل أعضاء العائلة الكتانية يجلون الشيخ ماء العينين إجلالاً كبيراً ويقدرونه تقديراً عظيماً، وكان هو كذلك رحمه الله يبادلهم تقديراً بتقدير ومحبة بمحبة. فعندما قدم الشيخ ماء العينين لفاس سنة 1322هـ استقبله أفراد العائلة بالترحاب، وألقى سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني هذه القصيدة مرحباً به ترحيب التلميذ بشيخه:

بدت في الحليّ يعلوها سناء	فتاة عندها حلّ السُّبَاء
بمفرد حسنهما ملكت فؤادي	فهام بها، فليس له انثناء
يفوق جمالها بدر الدياجي	وتخجل من محياها ذكاء
كأن الشمس تطلع من سناها	ومنها البدر يدركه السناء
إذا ما أسفرت عن حرّ وجهه	فشمس الأفق ليس لها بقاء
كلفت بها زماناً فُطمت حتى	غدا للصلب من ظهري انحناء
لها مني جميل الود طراً	ولي منها الملامة والجفاء
ولما أن جفت عيني كراها	وطال البعد وامتنع اللقاء
وعز الصبر مني عن لقاءها	فما لحشاشتي عنه ارعواء
بدت يوماً وظننت أن قلبي	سلا عنها وفارقه العناء
وقالت لي: عهدتك لست تسلو	هواي، فأين يا صاح الوفاء؟
فقلت لها: نعم لا لا ولكن	بمقدم شيخنا حصل الهناء
أريد الشيخ ما العينين من في	مديح علاه قد قصر الثناء
إمام لا يطاوله إمام	وبحر لا تكدره الدلاء
حباة إلهه مذ كان طفلاً	بفضل ماله قط انقضاء
حوى كل الكمال فليس يلفى	كمال ليس فيه له وفاء
تقاصرت المعالي عن علاه	فما أحد عليه له اعتلاء
علا قدرا ومرتبة ووصفاً	ففي علياه قد كمل العلاء [103]

وحاز من المعارف منتهاها
ولامته المكارم في صباه
تكامل حسنه خلقا وخلقا
لقد بهرت فضائله، وعمت
وضاء به الزمان فمذ تبدى
إذا ما جئته يوليك بشرًا
ففي يوم السماح له ابتسام
وفي علم الرسوم مديد باع
وفي علم الحقيقة ليس إلا
وفي تهذيب أخلاق التلاقي
يُوصِّلُهُم إلى المولى سريعًا
فمن ذا أم حضرته صباحًا
ومن قد أم حضرته مساء
لقد حزنا أهيل الغرب فخرا
أيا مولاي ما العينين جُد لي
وصال لا يشابهه وصال
بحقك لا تضيّع فيك مدحي
فإن النفس قد جمعت وضلت
ومالي ما به أقوى عليها
وقد أنشأته من وافر كي
وما قصدي عطاء سوف يغني
وكان رويها همزًا لكيما
فهب لي منك مامولي تمامًا
وقابل بالقبول قبيح وصفي
وسر بي سير خريبت بصير
إلى أن لا أشاهد لي فناء
إلى ما لست أعلمه وعنه

فمن وافاه منه له امتلاء
فنال علاه منها ما يشاء
فحدّث عن سنائه بما تشاء
أياديه، ففاق بها الفضاء
غدا ليل الضلال له انمحاء
وبحرا من نداه له صفاء
وفي يوم الوطيس له دهاء
له للجهل صار به الجلاء
به عن ذاك ينكشف الغطاء
فريد لا تطاوله سماء
ويجلو الذكّر منهم ما أساؤوا
يوصله وما حصل المساء
يُوصِّلُهُ وما ظهر الضياء
به ولنا به حق الهناء
بوصل ما لغايته ارتقاء
وما أحد لديه له ابتداء
وحقق فيك لي ما قد أشاء
بوادٍ للضلال له انتماء
سوى أني بمدحك لي اعتناء
يُرى لي وافر منك العطاء
ولكن ما يكون له بقاء
من الهَمَزَات يحصل لي احتماء
ولا تمطل فقد عظم الرجاء
وأمراضي، فعندكم الدواء
له عند التحير الاهتداء
وبالمولى يكون لي البقاء
تقاصرت المعاني والذكاء[104]

وأعطي قول كن فيكون قولي وسر السر ليس له اختفاء
وينفعل المكوّن لي جميعا وغاية مطلبي منه الرضاء
بجذك أفضل الأرسال طرا ومن منه استمد الأنبياء
عليه الله صلى مع سلام سليم لا تخالطه رياء
وآل والصحاب وتابعيهم ومن لهم لحضرته انتهاء

[105]هـ

2 - ترحيب ثان بالشيخ ماء العينين

ثم مدح سيدي عبد الرحمن الكتاني ماء العينين في قصيدة أخرى حيث قال:
"وقلت في مدح الشيخ ماء العينين أطال الله حياته معافى عند قدومه على هذه
الحضرة الإدريسية صانها الله تعالى":

أبشر؛ فإن السَّعد مُذ وافاك وجميع ما تهواه قد وافاك
ولقد تباعد عن فؤادي حُزْنُهُ من بعد ما قد طال ما أضناكا
بشراك يا قلبي لقد حصل المنى ومُنَحْتَ ما ترجوه من مولاكا
هذا إمام العصر قطب ذوي النهى بوصاله الربُّ الرؤوف حباكا
تاج الأكابر فرد أهل زمانه ذو همة قد جازت الأفلاك
شيخ الشريعة والحقيقة والطريقة ماله من مشبه في ذاكا
من حاز في العلمين أرفع رتبة ما نال ذو علم لها إدراكا
غوث الورى مولاي ما العينين من وافى حماه لا يخاف هلاكا
يا مَجْمَع البحرين يا عَلَم الهدى تالله ما أحد جرى مجراكا
بكم ازدهت فاسٌ وأخصبَ رُبْعُهَا وتمايلت فرحا بطيب لقاكا
ولقد قصدتُك يا بن أكرم مرسل كيما تداوي علتي بدواكا
فبحق من أولاك أرفع رتبة عنها تقاصر من يروم مداكا
وبحق جذك والبتول وبعلاها وبحق نجليها ومَن والاكا
وبحق الانجال الكرام جميعهم وبحق كل من احتفى بحماكا
أمنن عليّ بنظرة أحيا بها فأنا الفقير إلى علي علاكا
واعطف عليّ وإن أكن يا سيدي ممن تقاصر قدره عن ذاكا

ما خاب من وافاك يبغي مطلباً حاشا علاك يَخِيبُ من وافاك
أنا يخيب وفضلكم ما إن له حصر ومجداك جاوز الإدراك؟
بالله واصلني وصل فرحي فقد أنزلتُ آمالي لدى مثواك
وإليك معذرتي فلست بشاعر لكنَّ حبك موجب ذكراك
ثم الصلاة على النبي وآله ما حنَّ مشتاق إلى رؤياك

هـ [106]

3 - رسالة إلى الشيخ ماء العينين

وكتب سيدي عبد الرحمن الكتاني هذه الرسالة الشعرية إلى الشيخ ماء

العينين :

إلى بحر المعاني والمعالي ومِرآة المحاسن والكمال
وجامع ما تفرق من بديع المفآخر والمحامد والخلال
ومَنْ قد خَصَّه المولى بما لم يُخَصُّ به سواه من الرجال
فكم قد حاز من فضل علي ومن وصف تسامى عن مثال
إمام العصر قطب ذوي النُّهى، بل خليفة جده في كل حال
فغاية ما نقول إذا مدحنا علاه ولم نفصّل في المقال
وعن وصف النبوة ثم صفه بما قد شئت من كل المعالي
أريد الشيخ ما العينين من لا يجاريه مجار في مجال
عليكم بعد تقبيل الأيادي وتمريغ الخدود على الرمال
سلام من عُبيدٍ قد أقامت محبتكم لديه على التوال
أقام الجسمُ منه بأرض فاس وفي شنجيط أضحى القلبُ سالي
وإن تسأل عن الأحوال إنني بحمد الله ذو حال حلا لي
سوى أن الفؤاد يريد منكم صفاء سالما دون انحلال
وشرِّبا من شرابك يا منائي ونيلَ القصد فوراً والنوال
فعجّل لي بما قد شئتُ منكم فلا صبرٌ على حمل النوى لي
بحق المصطفى والصحب طرا وأزواج وأولاد وآل
أنلني ما أريد ولا تخيِّب رجائي فيك يا بحر اللآلي

وأنهي خير أنواع التحايا إلى الأنجال داموا في كمال
عَبِيدُكَ عابدُ الرحمن نجلٌ لجعفر من سما فوق الهلال
إلى الكتان قد نسبوه لكن إليك الآن يُنسَبُ بالتوال
شفاه الله مما قد عراه وحلاه بأنواع الكمال

هـ [107]

4 - تاريخ أول لتأسيس زاوية الشيخ ماء العينين بفاس

وبمناسبة افتتاح 0 زاوية الشيخ ماء العينين الشنجيطي بفاس سنة 1321 هـ قال
سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مؤرخا:

سما فخري بلا حديحُله بنسبته إلى من بان فضلُه
كفاني شاهدا تاريخه وا مريد الفتح آت هنا محله

هـ [108]

5 - تاريخ ثان لتأسيس زاوية الشيخ

وفي نفس المناسبة سنة 1321 هـ قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني
مؤرخا بناء زاوية الشيخ ماء العينين:

سما فخاري، فلا يحلُه غيري، ولا عقده يحلُه
كفاك تاريخه دليلا: الفتح إياها ذا مَحَلُه

هـ [109]

6 - إهداء للشيخ ماء العينين

وأهدي للشيخ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني نسخة من كتاب "قوت
القلوب" لأبي طالب المكي، فقال: "وكتبت على ظهر نسخة من قوت القلوب لأبي
طالب المكي أهديتها لشيخنا الشيخ ماء العينين، أمد الله بمدده آمين:

للشيخ ما العينين أهدي القوتا قوت القلوب الفائق الياقوتا
ياقوت قلب المستهام بحبه هب لي فديتك من جنابك قوتا

قوت القلوب أريد يا غوث الورى كي لا أرى بين الورى ممقوتا
لا مقت يخشى من أضيف إليكم قد كان ذلك واجباً موقوتا

[110]هـ

7 - تقرّظ "سهل المرتقى" و"المفاضل النورانية"

قال سيدي عبد الرحمن الكتاني في تقرّظ مؤلفين للشيخ ماء العينين الشنيطي: "وقلت مقرّظاً تأليفه "سهل المرتقى في الحث على التقى" و"المقاصد النورانية في ذكر من ذاته وصفاته متعالية":

باتقاء الإله في كل حال يدرك المرء غاية الآمال
جُمِعَتْ في التقى جميعُ المزايا فهي قطب لساثر الأعمال
فاز والله متقيه وأضحى رفعة وكـمال
كم له من مناقب أخبر الله بها في الكتاب ذي الإكمال
ليس عندي بسيد سيّد العلم أو المال لا ولو باحتمال
إنما المتقي الإله هو السيد عند التفصيل والإجمال
ساد والله كل من ساد بالعلم أو الأصل صاح أو بالمال
وبذكر الإله في كل حين بحضور تُنال كل المعالي
وبه تنجلي عن القلب أكدا ر، ويجلى صدى له كان عالي
وبه ترتقي علي المقامات ت وذو الذكر دائماً في تعالي
وهو مفتاح كل خير وسر ودنو لحضرة المتعالي
فالزم الذكر والتقى يا خليلي أبدا جَهد وسم أهل الكمال
وإذا شئت أن تزيد اغتباطا بهما كي تحوز أفضل حال
فيأذا ما جنّ الظلام فسامر "أسهل المرتقى" العديم المثال
وكذا صنوه "المقاصد" من قد صار في الحسن للمقدّم تالي
للإمام الهمام غوث البرايا نخبة الصالحين ذي الأفضال
قطب أهل التقى وكهف المعالي والمداوي من كل داء عضال
مفرّد العصر سيدي الشيخ ما العينين بحر المعارف المفضال
ذي الكرامات والمناقب والعر فان والإختصاص والإجلال

من له في العلوم باعٌ مديد ليس للغير حوله من مجال
من إذا أتى حماءه مريد في قريب يرقى مراقي الرجال [111]
ربنا فلتطّل بقاءه معافى سالما من مضرة واعتلال
وألّنا بجاهه كل ما نر جوه من فضلك العظيم النوال
بالنبيّ المقرّب المجتبى أحمد ذي النور الأعظم المتلالي
صل يا ربنا وسلم عليه وعلى صحبه وأكرم آل
ماشدا منشد يقول بحسن الصوت مع نغمة وطيب اعتدال
باتقاء الإله في كل حال يدرك المرء غاية الآمال

هـ [112]

8 - تقرّظ "إظهار الطريق" و"قرة العينين"

وقال سيدي عبد الرحمن الكتاني في تقرّظ مؤلفين آخرين للشيخ ماء العينين الشنيطي: "وقلت مقرّظا تأليفه ومؤرخا طبع تأليفه "إظهار الطريق المشتهر" و"قرة العينين في الكلام على رؤية الباري في الدارين":

بادرْ هديتَ النفسَ بالإصلاح واعصِ العَدُولَ، ودع مقالَ اللاحي
واتركِ هواك ولا تملُ أبدا إلى ما تشتهيهِ النفسُ دونَ فلاح
واسلكِ مسالكَ من رَقُوا أسمى المرا قي في الغدو وعند كل رواح
قومٌ بتطهيرِ الفؤاد تشاغلوا أبدا وما التفتوا إلى الأشباح
فاتبعِ طريقَهُمْ تنل ما شئت من حلل الرضى وكرائم الأمناح
لا تعد عنه فإنه ما أمّه حيران إلا آب بالآفراح
واجعل دليلك نحوه يهديك ما أبدته فكرة ذي السنا الوضاح
العالم العلامة النحرير مَنْ عَمَّ الأنامَ بفيضه السيّاح
كهف الأنام إمام أهل زمانه شيخ المشايخ مرهم الأرواح
رب المعارف والمناقب والكرامات التي ظهرت ظهور صباح
أعني بذلك شيخنا مولانا ما العينين ما أعلاه من جحجح
لله ما أبداه من شرح به قد نارت الأفكار كالمصباح
كم فيه من حِكَمٍ وأسرار غدت بجمالها تنسيك ذات وشاح

فهو المبيّن للطريق حقيقة وهو الدليل بحضرة الفتح
و"بقرة العينين" قرّ ذوو النهى عينا وما هو فيه بالأفراح
كشّف النقاب ولم يدع من شبهة إلا أزال بغاية الإيضاح
قد كان كلّ منهما في خذره متمنعا عن ذي ندى وسماح
فكساهما ذا الطبع أجمل حلة وحباك وصلهما بخير جناح
فانهض بعزم لاقتنائهما ولو بنفائس الأموال والأرباح
وإدع الإله لمن تسبب فيهما وارجع بذاك إليه بطن الراح
شكر الوسائط واجب في شرعنا بنصوص أخبار النبيّ الماحي [113]
صلى عليه الله مع أصحابه والآل ما وافى نسيم صباح
متلوة أزكى السلام عليهم ما غنت الأطيّار في الأدواح
إن قلت: ما تاريخه. قل صاح: بل بادر هديت النفس بالإصلاح

هـ [114]

9 - تقرّظ "دليل الرفاق"

قال سيدي عبد الرحمن الكتاني مقرّظا تأليف الشيخ ماء العينين "دليل الرفاق" الذي طبع سنة 1321هـ:

تَفَقَّهْ، فإنّ الفقه أفضل ما اعتنى به المرء في الدنيا، وأفضل ما اقتنى عليك به، فهو الموصّل للعلى
به يعرف الإنسان ما الله أمر ومن لم يكن يدرّيه فهو الذي على
فإن صام أو صلّى وحجّ فإنما فلازمه طول العمر تسعد، فإنه
ولا تعدون عيناك عنه لغيره ولا سيما ما نمقته بنان من
إمام الورى غوث الزمان وغيثه خليفة خير الخلق في الكون كله
هو الشيخ ماء العينين من قدره سما به المرء في الدنيا، وأفضل ما اقتنى عليك به، فهو الموصّل للعلى
به يعرف الإنسان ما الله أمر ومن لم يكن يدرّيه فهو الذي على
فإن صام أو صلّى وحجّ فإنما فلازمه طول العمر تسعد، فإنه
ولا تعدون عيناك عنه لغيره ولا سيما ما نمقته بنان من
إمام الورى غوث الزمان وغيثه خليفة خير الخلق في الكون كله
هو الشيخ ماء العينين من قدره سما

هو البدر إلا أنه غير آفل هو البحر إلا أنه العذب والسما
كفاك دليلا في علو مقامه
فإن كلام المرء يبدي كماله
ولا سيما هذا الكتاب فإنه
فدونكه سهل التداول بعدما
وقد زاده الطبع حسنا ورونقا
فجازي إله العرش عنا بفضله
بجاه إمام الرسل أفضل من سما
عليه صلاة الله ثم سلامه
صلاة وتسليما يدومان ما مشى
وقل إن ترد تاريخ طبع ختامه:

هو الشمس إلا أنه زائد السنا
علوا ولكن مالها ذلك السنا
تأليفه الغر التي عمّت الدنيا
ويخبر عما فيه قد كان كامنا
غدا كاسمه فهو الجدير بالاعتنا
تحجّب في علياه عن كل من رنا
فمن قد رآه عزمه نحوه انثنى
جميع الذي في طبعه كان ذا اعتنا
على الناس قدرا وانتسابا وموطنا
وآل وأصحاب ومن بعد أحسنا
حجيج إلى بيت وسار إلى منى
تولع به والزمه عندك⁽¹⁾ ديدنا

هـ [115]

10 - تقرّظ "تبيين الغموض"

وقال سيدي عبد الرحمن الكتاني في تقرّظ كتاب للشيخ ماء العينين طبع سنة 1320هـ ما يلي: "وقلت مؤرخا طبع شرحه المسمى "تبيين الغموض على نعت العروس":

من أجل العلوم: علم العروس
وإذا رمت للمعالي نهوضا
إن علم العروس أنفع علم
وتصانيفه وإن كثرت ليست توازي
ولقد زاد حسنه الشرح حسنا
كيف لا وهو من نتائج فكر الشيخ

فتنزّه في روضه المنفوض
فتمسك بحبله في النهوض
لأديب وشاعر مبروض
في الحسن "نعت العروس"
بالذي فيه من بيان الغموض
ماء العيون خير مروض

(1) في الأصل: فيك، غير أنه لا يستقيم وزنا. مصحح.

صانه الله من جميع الدواهي ووقى كل جسمه من نتوض
 بنبي الهدى وخير الورى من حبه واجب وجوب الفروض
 صل ربنا وسلم عليه عدد الدر والحصى والبعوض
 وعلى الآل والصحابة طرا كلما سار شائق للعروض
 ولتؤرخ إذا تشا دون قبض: تم طبعا بيان "نعت العروض"

[116]هـ

11 - تقرّظ "مغري الناظر"

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في تقرّظ كتاب "مغري الناظر
 والسامع على تعلم النافع" لشيخه الشيخ ماء العينين من البحر السريع:
 روضُ العلوم أبداً ناضرُ يشهّدُ السامع والناظرُ
 لا يعتري الأزهار فيه دويٌّ بل حيّ زهره زاهر
 فصفه بالحسن ولا تختشي فحسّنه في الورى ظاهر
 والزم إذا شئت العلا من بابه فبابك له باب شاهر
 واهجر لذيق القوم إن جئته لا يستوي القائم والساھر
 واجعل سفيرك نل منتهى سؤلّك مقرائها الماهر
 للشيخ ما العينين قطب الورى من نوره الباهي لنا باھر
 لازال فينا باقيا باھيا مقدسا وسره طاھر
 لله ذا التألّيف من حسنه يخجل بدر في الدجى هامر
 مع أنه من بحره نقطة بل رشحة إذ بحره زاھر
 إن قلت: ما الدليل. قلت: كفى تاريخه بشاهدي حاضر

[117]هـ

12 - تقرّظ "ثمار المزهر"

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في تقرّظ كتاب شيخه الشيخ ماء
 العينين المسمى "ثمار المزهر" الذي طبع سنة 1324:

خَلَّ عَنَا نَعَمَاتِ الْمُزْهَرِ وَأَنْلَنَا مِنْ "ثَمَارِ الْمُزْهَرِ"
 رَوْضَ عِلْمٍ أَيْنَعَتْ أَزْهَارُهُ فَعَدَا جَامِعَ مَعْنَى أَزْهَرِ
 مَا لِقَلْبِي نَحْوَهُ لِمَا بَدَا مِثْلَ مِيلِ الْعَيْنِ نَحْوِ الْمُبْهَرِ
 يَضْبُطُ الشَّيْخُ بِهِ لَوْ أَبْصَرَ تَهْ عِيُونَ الْمَجْدِ بِلِ وَالْجَوْهَرِ
 وَيَقِينَا لَوْ رَأَى أَزْهَارُهُ لَهْنَاهُ الْإِمَامَ الْأَزْهَرِي
 حَقٌّ أَنْ يَبْذُلَ ذُو اللَّبِّ لِتَحْصِيلِهِ أَبْهَى صَحَاحِ الْجَوْهَرِ
 أَبْذُلَ الْمَجْهُودِ فِيهِ لَوْ تَجَدَّ فِي تَعَاطِيهِ عَنَاءُ الْأَبْهَرِ
 فَلَقَدْ أَبْرَزَهُ الطَّبْعُ لَنَا فِي سَمَا الْكُتُبِ كِبَرُ أَشْهَرِ
 إِذْ تَنَاهَا جَمْعُهُ أَرْخَتَهُ: دُونَكُمْ قَطْعَا ثَمَارِ الْمَزْهَرِ

هـ [118]

الفصل الثامن

في الشيخ أبي العباس أحمد بن الشمس

1 - مدح الشيخ أحمد بن الشمس

2 - نفس المعنى

3 - جد لي بما أرجوه

4 - تهنئة بعرس

5 - الشيخ أحمد بن الشمس وسلا

6 - هدية للشيخ أحمد بن الشمس

7 - تقرّظ " النفحات "

8 - طال شوقي لمحياك [119]

1 - مدح الشيخ أحمد بن الشمس

كان الأديب الشيخ أحمد بن الشمس خليفة للشيخ ماء العينين على زاويته بفاس. وكانت له علاقة وثيقة بأفراد العائلة الكتانية في فاس ثم في المدينة المنورة بعد هجرته لها، وقد توفي بها في 21 جمادى الثانية عام 1342هـ وترك أربع بنات، إحداهن متزوجة والباقيات صغار. قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت في مدح شيخنا الشيخ أحمد بن الشمس خليفة شيخنا حفظهما الله:

هام فؤادي بحب أمرّد بالحُسن بين الورى تَفَرَّدْ
إذا بدا للورى سنّاه أخجل شمس الضحى وأحمد
وربحه إن شملت ريا ه، قلت: ما عنبر وما الند؟!
أخوّر لذنّ القِوام أَلَمى وثغره جوهر منضد
وقدّه مثل غصن بان وخده ناعم مُورَّد
يقول من قد رأى بهاه: سبحان من صاغه وأوجد
أسست بالقلب حصن صبر عن حبه عندما انقضى انهد
وكلما زاد في جفاه زاد غرامى به بلا حد
ياليتّه جاد لي بوصل أو كان لي بالوصال واعد
كم من عليل بصدّه، بل كم من قتيل بطرفه قد
لم أدر أين الفؤاد لما أراد قتلى به وسدد
فقلت: مهلا فدتك نفسي وانظر فما من رأى كمن قد
أما ترى الدمع من جفوني مسلسلا قد جرى على الخد؟
أما ترى الجسم قد تولت بهجته بالبعد والصد؟
أما ترى النوم قد جفاني وعاذلى فيك لست أحمد
بالله رفقا بمسستهام ليس له عن هواك من رد
يا قوم هل عندكم طبيب علاجه للقلوب يحمد
قالوا: نعم قلت: من. فقالوا ذاك الهمام الأجل أحمد[120]
فقلت: من أحمد. فقالوا: شمس البرايا بكل مشهد
خليفة الشيخ من أقرت بفضله أصدقا وحسد
الكامل الفاضل المفدى بالنفس والأهل والزبرجد

من جمع الله فيه ما في غيره من سؤدد تبدد
 قل فيه ما شئت من ثناء فأنت في ذاك لا تُفَنَّد
 لا عيب فيه يقال إلا أن معاليه لا تعدد
 ليس له في العلا شبيه بذاك من قد رآه يشهد
 فاق البرايا بدون شك فهو بهذا الزمان أوجد
 حاز جميل الصفات لكن بحسن أخلاقه تفرد
 مَنْ أُمِّه عمه نداء إذ بسط كفيه قد تعود
 يا كامل الفضل يا عليا في قدره ليس ذاك يُجحد
 عطفًا سريعًا ولا تماطل وأولني منك كل مقصد
 حتى أرى فاني الفناء وببقاء البقا مُسرَّمَد
 وتكشف الحجب عن حياتي حتى لذات الإله أشهد
 بجاه خير الأنعام طرًا وسيد الأنبياء محمد
 صل وسلم عليه ربي مانح طير الفلا وغرد
 والآل والصحب ما توالى قصائد الملاح فيه تُنشد

[121] هـ

2 - نفس المعنى

وفي مناسبة خاصة قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مادحًا الشيخ أحمد ابن الشمس خليفة الشيخ ماء العينين بفاس، ما يلي:

نفسُ المعنى على أبوابكم وقفت ومهجتي بهوى علياكم شرفت
 يا ليت شعري هل قلبي يعود وهل لي من وصال بمن روحي به كلفت
 أفديه من رشاً فاق البدور سنا فما بدره إلا وقد خسفت
 حاز الجمال فما ينفك ناظره إلا ووجهته إليه قد صرفت
 رام العذول سلوي عن هواه، فمذ رأى محاسنه اللاتي حلت وصفت
 غدا يكفكف دمع العين منسجماً ومن لذيذ الكرى أجفانه أنفت
 سطا عليه بسهم من لواظظه فخامته خمور الحب وانكشفت
 من مُنصفي يا خليلي من هوى رشاً بهجر عشاقه أنفاسه ألفت

إن قلت: قد عيل صبري في هواك فجد يقول: هيهات وصلي ليس يدركه لله أشكو الذي قاسيت منه فلو كم ليلة بت من إعراضه أرقا وقلت: يا أملي ويا مُنى خلدي ولم أجد من ملاذ أستجير به مأوى الفخار وينبوع السخاء ومن العالم العامل الدراك من شهدت حاوي الفضائل معدن المكارم من أعني بذاك أبا العباس أحمد من شمس ولكنّها في الأفق ما طلعت لا غرو أن جُمعت فيه الفضائل إذ غوث الورى الشيخ ما العينين من سطعت لازال يحفظه الباري ويكلاه بالمصطفى المجتبى خير الأنام ومن عليه أزكى صلاة الله يتبعها وآله الغرّ والأصحاب ما قرئت:

بالوصل فالروح عن إعراضكم ضعفت إلا الذي روحه في حبنا تلفت أن الجبال تقاسي بعضه لحفت وأدمع العين فوق الخد قد ذرفت أما ترى جسدي، فما إلي لفت إلا حمى من له كل المعالي وفت أخلاقه بكمال الحسن قد وصفت له الورى بجميع الفضل واعترفت منه الفضائل كلّ الناس قد عرفت علياه بين الورى بالشمس قد عُرفت إلا وغابت شمس الأفق أو كسفت كان المربي له به العلا عكفت أنواره فجلت ظلامنا ونفت وعن خليفته الأسوا به صرفت [122] أنواره قد نفت أدواءنا وشفيت مني سلام يضاهي ديمة وكفت نفس المعنى على أبوابكم وقفت

هـ [123]

3 - جد لي بما أرجوه

وكتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني للشيخ أحمد بن الشمس خليفة الشيخ ماء العينين يطلب منه الإجازة:

يا سيدي أحمد بن الشمس جد لي بما مضى الزمان ولا وصل أسر به بالله جد لي بما أرجوه منك، وإن فهمة الشيخ تدني كل شاسعة وأنت لا شك عندي في اتصافكم أرجوه منك بلا مظل على عجل ولا شفاء لدى قلبي، فوا خجلي كنت المقصر في قول وفي عمل وتبريء القلب مما فيه من علل بما ذكرت، فجد يا غاية الأمل

فورا بلا مَهْلٍ فورا بلا مهل فورا بلا مهل فورا بلا مهل
بالمصطفى المجتبى والآل قاطبةً وشيخنا الشيخ ما العينين خير ولي

هـ [124]

4 - تهنئة بعرس

وفي سنة 1321هـ تزوج الشيخ أحمد بن الشمس فقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مهنئا: الحمد لله، وقلت مهنئا أبا العباس أحمد بن الشمس الشنجيطي بعرس:

رَبُّعُ السرور مُشَيِّدُ الأركان فاشرب كؤوس مسرة وتهاني
أَوْ مَا ترى الأطيّار في أغصانها طربًا شَدَّتْ بلطائف الألحان
والأرض قد لبست حلاها وازدهت ببدايع الأزهار والأفنان
والشمس قد سطعت وزاد ضياؤها تحكي محيا الشيخ ذي العرفان
العالم العلامة الأسمى الذي أربت فصاحته على سحبان
فخر الزمان ومرشد الأقوام من ملك العلا وسما على الأقران
مفتاح أسرار الطريق وفاتح الأقفال عن قلب المريد العاني
أعني أبا العباس نجل الشمس مَنْ أنواره سطعت بكل مكان
من أمْ حضرتة الكريمة نال ما يرجوه في سر وفي إعلان
فاقصده فيما شئت من خير تجد بحرًا يفي بجواهر وجمان
يا راقيا أوج الكمال وساميا رُتِبَا علت قدرا على كيوان
هُنِيَتْ بالعرس السعيد ودامت الأفراح تصحبكم بكل زمان
وحباك مولانا بكل فضيلة وأطال عمرك في هنا وأمان
ولقد أتى تاريخُ ذا العرس الشريف بنعته المغني عن التبيان
فالله أسأله لكم حفظا وتيسير را، وتوفيقا مدى الأزمان
بالمصطفى خير الأنام المجتبى والصحب والأنصار والأعوان
والآل والأزواج ما قال امرؤ: رُبُّعُ السرور مُشَيِّدُ الأركان

هـ [125]

5 - الشيخ أحمد الشمس وسلا

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وخاطب الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشمس جمعا من أعلام فاس وسلا بقوله:

سلا خَلدي لما رأى أهله وفا س، نعم الزمان لي بما أرتجي وفا
صدور النوادي في البيوت وغيرها عليكم كمالٌ صَدْرٍ مفردا اصطفا
والضمير في "أهله" يعود على سلا بمعنى البلد المعروف ففيه استخدام.
وقوله: "عليكم كمال... الخ.." أشار به لقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ﴾. [النمل / 59]، والمقصود منهما التحية بالسلام.

وأجيب بعدة أجوبة؛ منها قولي:

أيا مَنهلاً عذباً لوارده صفا وَمَنْ شِعْرُهُ مثل الزلال على الصفا
ملكك مقاليد الكلام فما تركت غيرك فيها الآن أن يتصرفا
ولو لم يكن عندي دليلٌ لذا "سلا خلدي لما رأى أهله" كفى
سوى وذا غير محتاج إلى شاهد لا نَ تقرير المعلوم ضربٌ من الخفا
ومني على عليك أذكى تحية تحاكي نسима هب في سَحَرٍ صفا

هـ [126]

6 - هدية للشيخ أحمد بن الشمس

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وكتبت لتلميذ الشيخ ماء العينين الشيخ أحمد بن الشمس وقد أهديتُ له سراج الطرطوسي:

أبا العباس أحمدَ إنني قد أتيت غليك مهديَّ «السراج»
فجد بقبوله فضلا وسل لي إلهي نيل ما في النفس راج

هـ [127]

7 - تقرّظ "النفحات"

ولما طبع كتاب "النفحات الأحمديّة في الأوقات المحمديّة" للعارف العالم

أبي العباس الشيخ أحمد بن الشمس محمد الشنجيطي، وقرظه العلماء على اختلاف طبقاتهم، كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني عليه نثرًا ونظمًا، فالنظم قوله رحمه الله:

كتاب على هام الكمال قد استوى ومن منهل التحقيق حقا قد ارتوى
حوى كلَّ تحقيق يَعِزُّ مناله فللَّه ما أبدى والله ما حوى
جزى الله من أبداه خير جزائه وأولاه من إحسانه كل ما نوى

هـ [128]

8 - طال شوقي لمحياك

هاجر الشيخ أحمد بن الشمس إلى المدينة المنورة، وتأسف صديقه سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني على فراقه، فأنشد يقول:

طال شوقي لمحياك النفيس يا ابا العباس يا خير جليس
لست أنسى عهدكم كلا ولا أتسلى عن سناكم بأنيس
لم يزل فكري لكم مستحضرا وبحبي لكم فخرا أميس
وبقلبي من بتاريخ الجوى لاعج يربو على حرّ الوطيس
كل وقت وزفرتي تتوالى وخصوصا إن أتى يوم الخميس
فمتى يدنو اللقاء يا أملي فاصطباري عنك [قد] كان يخيس

هـ [129]

الفصل التاسع

في المحبة والحكم

1 - رشف زلال المرام من كؤوس لذيد الملام.

2 - تخميس.

3 - هات لي صدقة.

4 - قلبي لك من دون مشارك.

5 - فإن تسأليني.

6 - قد كنت أحسب أن الشمس واحدة.

7 - قال لي من شكوت حالي إليه.

8 - وعد الحبيب بوصله.

9 - رُبَّ مليحة جاءت بوصل.

10 - تمكنت من فؤادنا محبتكم.

11 - تجلى حبيبي.

12 - كتاب في سرائره سرور.

- 13 - يا من ترحل.
- 14 - وضع الحق.
- 15 - أهل الحديث.
- 16 - فخر.
- 17 - لم أجد للمخلص سبيلا.
- 18 - العيادة.
- 19 - لازم اتقاء الله.
- 20 - جدد وضوءك.
- 21 - النحاة.
- 22 - تعلم.
- 23 - استصف خلك.
- 24 - تواضع.

1 - رشف زلال المدام من كؤوس لذيق الملام

سافر سيدي محمد بن جعفر الكتاني أخو سيدي عبد الرحمن الأكبر في أول حجة له سنة 1321هـ وصحب معه ابنه سيدي محمد الزمزمي وكذلك الفقيه الأديب النابغة مولاي محمد العلمي، المدعو عويدات لنحافة جسمه ورقة خصره وشدة لطافته وخفته، وكان كاتباً شاطراً خفيف الروح، كما كان صديقاً مقرباً لشاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني. فكتب له بهذه المناسبة هذه الرسالة الشعرية قائلا: "الحمد لله وكتبت لصاحبنا سيدي محمد العلمي لما حج مع الأخ حفظهم الله، وسميتها "رشف زلال المدام من كؤوس لذيق الملام":

سلام لا يَمائله سلامٌ	لمن بفراقه حُرم المنامُ
أخي ومُؤنسي وسرور قلبي	وراحته إذا يعرو السقام
خليل ليس يشبهه خليل	فلا يعرو محبته انفصام
عليّ قدره بين البرايا	تقاصر عن أدانيه الغمام
له في العلم باع ليس يخفى	وفي تقوى الإله له مقام
وذاك محمد العَلَميُّ من قد	غدا بالمكرمات له اهتمام
وبعد؛ فإنّ عن الأحوال تسأل	فقد عَمَّتْ لنا نعمٌ عظام
وعافية الإله لنا توافي	جميعاً كل وقت والسلام
سوى أنا قد اشتقنا علاكم	ورؤية وجهكم ذاك المرام
ولو نعطي الخيار لما افترقنا	ولكن لا خيار لنا يرام
لعل الله يجمعنا جميعاً	بطيبة ذلك البلد الحرام
بلاد لا يَمائله بلاد	بها هام الفؤاد المستهام
وما حب الديار شغفن قلبي	ولكن حب من فيها أقاموا
هنيئاً للذين أتوا إليها	وصلوا في زواياها وصاموا
لقد حازوا فخاراً لا يضاهي	وفازوا أي فوز لا يسام
فنب عني، فديتُك، يا خليلي	هناك بأدمع ولها انسجام
بذلّ وانكسارٍ علّ له لي	يملئ من شراب الأنس جامُ [131]
وعفر في ثراها الوجه واخضع	لهيبة من له ذاك المقام
وسل لي كل خير من علاه	ففي جذواه كل الخلق عاموا

وحاشى أن يغيب من انتحاه
فلا تغفل خليلي عن سؤالي
ودادك داخل الأحشا مقيم
وما قد كان ظنني فيك هذا
وكننت أظن أن جبال رضوى
فبان الآن لي خلاف هذا
وكننت أردت غض الطرف لكن
فأحضر ذهنك الوقاد واسمع
بيان اللوم أنك إن إلينا
فلا تحكي عجائب ما رأيتم
ولا من قد رأيتم أو رآكم
ولا من قد أجازك أو أجيزا
كان الحبر والقرطاس عزا
أو الدرهم معدوم لديكم
وإن وجهت كُتُبًا للسوى لا
ويزدحم الكلام عليك حتى
وتاتيك المعاني الغر حتى
لعمري إن في هذا دليلا
فتب لله من هذا سريعا
وليس له سلو عن سناكم
فإن الله يقبل من إليه
وسلم غاية التسليم مني
إمام العصر حافظه الذي من
وحيد زمانه علما وزهدا
محمد نجل جعفر الذي ما
وقبل كفه عني وسل لي
بتقوى الله في سر وجهه

ومنه الجود أدركه الكرام
فحبك ماله قط انصرام
ولكن لي عليك أخي ملام
ولكن الظنون لها انعدام
تزول وأن ودك مستدام
ولاح لنا جهارا ما يلام
بعثب الحب يزداد الغرام
لما أملني إذا يتلى الكلام
كتبت سلكت إجحافا يضام
ولأنكنا بها الأحباب هاموا
من العلماء من لهم احترام
ولا شيئا يتم به النظام
أو الأقلام ليس لها قوام
أو الألفاظ عنك لها انبهام
يُرى في كثيها قط انخرام
بذاك الرق ما حصل التمام
يقول الناس: من هذا الهمام؟
على أن ليس عندك بي اهتمام
فإن القلب زاد به الهيام
وكيف وعندكم منه الزمام!
أناب وعنه يُدرا الإنتقام
على من لا يضاهيه إمام
عداه خَلْفُهُ وهو الأمام
ومن بمدححه فاه الأنام
غدا إلا به لي اعتصام [132]
مجناب دعائه حيث المقام
وبالحسنى يكون لي الختام

كذلك على ابنه ذي المجد من نا
وسله كيف لم يكتب كتابا
كأن ما بيننا قط ارتباط
وإن يك قد عراه مع العراقي
فما معنى انقطاع الكتب عنا
ولو أني شرحت اللوم شرحا
وعبد المالك الأسمى عليه
كذلك على محب دون لبس
أخي محمد اليميني من لي
كذلك على ابن شقرون فسلم
فكم شخص ببطنته تردى
وسلم غاية التسليم أيضا
أخي عبد الكريم مع الغراري
محبك عابد الرحمن من لي
حباه الله فضلاً ليس يدرى
بجاه المصطفى خير البرايا
صلاة الله تترى كل حين
له منه الغوارب والسنام
يزال به عن الحال اللثام؟
ولا نسب ولا حب يدام
لترك جوابه فوراً خصام
فماذا فعل من بالحب قاموا!
لفاق الطرس واتسع الكلام
سلام الله يعقبه سلام
غدا في المتقين له انتظام
برؤية وجهه يُشفى الأوام
وحذره إذا حضر الطعام
وكم شخص أتاه بها الحمام
على من عندهم يُرعى الذمام
وأحمد اللنجري والسلام
س ينساكم ولو طال المقام
له قط ابتداء واختتام
ومن بضياه يُجلى الظلام
عليه وآله ثم السلام

[133]هـ

2 - تخميس

أتى سنة 1320هـ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في كناشته بتخميس
متعددة للأبيات التالية، وهي تعزى للشيخ أبي مدين التلمساني رضي الله عنه:

فإن وجدي بكم جديد بالقرب للعاشقين عيد وقلوبه كما تريدوا علي زيدوا
البعاد زيدوا

عيدوا إليّ الوصال عيدوا فإن وجدي بكم جديد
وقربوا الوصل والتداني بالقرب للعاشقين عيد
خذوا فؤادي وفتشوه وقلوبه كما تريدوا

فإن وجدتم فيه سواكم علي زيدوا البعاد زيدوا
وقال : " الحمد لله للشيخ سيدي الحاج المصري مخمسا (وجاء بالتخميس)
وللوزير ابن إدريس رحمه الله مخمسا أيضا (وجاء بتخميس) وللعلامة القاضي سيدي
عبد الهادي الصقلي رحمه الله تعالى (وجاء بتخميسه) ولأخيना الفقيه الأريب الدراكة
الأديب الشيخ عبد العزيز حفظه الله بمنه (ولم يأت بتخميسه)، ولكاتبه العبد الفقير
الجاني عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، عُفي عنه :

شوقي إلى حُسنكم شديدٌ وحبكم في الحشا قعيد
بحق من اسمه أحيـد عيدوا إليّ الوصال عيدوا
فإن وجدي بكم جديد
وأتحفوا الصب بالأمانـي دون تـراخ ولا تـوان
فحر ذا الهجر قد كواني وقربوا الوصل والتداني
فالقرب للعاشقين عيد
فكل حسن ملكتموه لذاك قلبي سكنتموه
والقول إن لم تصدقوه خذوا فؤادي وفتشوه
وقلببوه كما تريدوا
والله ما مال عن هواكم ولم يزل حاميا حماكم
ينتظر الوصل من علاكم فإن وجدتم فيه سواكم
علي زيدوا البعاد زيدوا

[134]هـ

3 - هات لي صدقة

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ولم يذكر مناسبة قوله :
قلت لحبي هات لي صدقة تصلح ما فَعَلَتِ الحدقة
إن نصاب الحسن فيك انتهى كما انثنى طرفي إذ حدقه
فقال لي: تنال ما تبتغي فحالكُم في الحب ما أَضَدَّقَهُ
فقلت لما طالما ما طلا وما وفي وعدي ولا صدقة

بربك الوهاب كن واصلا ولا تك العائد في صدقه
قال النبي كالكلب في قيئه يعود من قد عاد في الصدقة

هـ[135]

4 - قلبي لك من دون مشارك

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون ذكر المناسبة:

بالذي أفرد قلبي لك من دون مشارك
والذي أولاك حسنا قصرت عنه المدارك
وبما في الخدم من ور وممن آس عذارك
وبما في اللحظ من سحر ومما بي من نفارك
وبإعراضك عني مهجتي مولاي دارك [136]

هـ[136]

5 - فإن تسأليني

قرأ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني هذين البيتين لبعض الأدباء:

فإن تسأليني: كيف أنت، فإنني جليد على ريب الزمان صليب
جهيد على أن لا تُرى بي كآبة فيشمت واشي أو يساء حبيب
فشعر بنفس شعور الأديب وشر البيتين قائلا:

فإن تسأليني: كيف أنت، فإنني مقيم على ودي عساك تجيب
وإنني وإن ذاب الفؤاد صباية جليد على ريب الزمان صليب
جهيد على أن لا تُرى بي كآبة وإن كنت مالي في السلون نصيب
فصوني فؤادي الصب قبل فنائه فيشمت واشي أو يساء حبيب

هـ[137]

6 - قد كنت أحسب أن الشمس واحدة

أطلع السيد عبد الله القباж سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني تشطيره

لهذين البيتين:

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة حتى رأيت لها أختا من البشر
 كأنها هي إلا أن يُفَضَّلَها حُسْنُ الدَّلالِ وطَرَفُ فاتر النظر
 قال سيدي عبد الرحمن: "ولكاتبه - أيضا - مشطرا هذين البيتين لما أطلعني
 بعض الأصحاب على تشطير له فلم أرتضه:

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة قبل التَّقَحُّمِ في بحر الهوى الخطر
 فلم يزل ناظري يروم سفك دمي حتى رأيت لها أختا من البشر
 كأنها هي إلا أن يفضلها سلامة من كسوف الشمس والقمر
 وكونها أبدا ليست تغيب، كذا حسن الدلال وطرف فاتر النظر

[138]هـ

7 - قال لي من شكوت حالي إليه

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يحدد المناسبة:
 قال لي من شكوت حالي إليه عندما ساعد الحبيب بلحظه
 شدة القُرب من عظيم علاه مَنَعَ الطَّرْفَ منك والله لحظه
 وانظر الطرف لا يرى الجفن منه وعليه استدار يأمل حفظه

[139]هـ

8 - وعد الحبيب بوصله

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يذكر المناسبة:
 وَعَدَ الحبيبُ بوَصْلِهِ لما رآني عن غرام جماله لا أنتفي
 ثم استشار وقال لي: ما الرأي عندك قلت: عندي أن تفي⁽¹⁾ لا أن تفي⁽²⁾
 ولئن تباعدت الجسوم ولم تجد بالوصل لي يا سيدي فلأنت في

(2) أي: ترجع.

(1) أي: بالوعد.

[140]هـ

9 - رب مليحة جاءت بوصل

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يذكر المناسبة:
ورُبَّ مليحةٍ جاءت بوصلٍ وليلي من محياها أضاء
وعند الصبح قامت ثم قالت: خيار الناس أحسنهم قضاء

[141]هـ

10 - تمكنت من فؤادنا محبتكم

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت مخاطبا بعض الأصحاب
وقد زرته في منزله:

تمكنت في فؤادنا محبتكم فلا نُطِيقُ سلوًا عن زيارتكم
فلتقبلونا على ما كان من عوجٍ فينا فإن القبول من عوائدكم

[142]هـ

11 - تجلى حبيبي

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني متفائلا دون أن يذكر المناسبة:
تجلى حبيبي في مرائي شهوده فأفنى فنائي في بقاء وجوده
ومكنني من قربه وشهوده وحق لمن يفنى دوام شهوده

[143]هـ

12 - كتاب في سرائره سرور

وكتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في رسالة لصديق يشكره على

جوابه:

كتاب في سرائره سرور مناجيه من الأحزان ناجي
كراح في زجاج بل كروح سري في جسم معتدل المزاج [144]

[144]هـ

13 - يا من تَرَحَّلْ

كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة رسالة لأخيه سيدي محمد سنة 1329هـ قال فيها: "سيدي بأي لسان أخاطب حضرتك، وبأي وصف أصف خلالك الكريمة، وطلعتك بوحى الوداد المحكم، إني لازلت كما تعلم:

أبدًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ وَوَصَالُكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَاسْتَهْلُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بَعْدَ الْبِسْمَةِ وَالتَّصْلِيَةِ بِقَوْلِهِ:

يَا مَنْ تَرَحَّلَ فَالْنَّسِيمُ لِأَجْلِهِ يَشْتَاقُ إِنْ هَبَّ شَذَا رِيَاهَا
تَحْيَا النُّفُوسُ إِذَا بَعَثَتْ رِسَالَةَ فَإِذَا كَتَبْتَ اقْرَأْ: وَمَنْ أَحْيَاهَا

[145]هـ

14 - وَضَحَ الْحَقُّ

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "الحمد لله، قال الأخفش: سمعت أبا العباس المبرد يقول: إن الذي يغلظ ثم يرجع لا يعد ذلك خطأ، لأنه قد خرج منه برجوعه عنه، وإنما المخطئ البين الذي يصير على خطئه ولا يرجع عنه، ذلك يعد كذابًا ملعونًا. نقله السيوطي في "المزهر". وقد أنشدني صاحبنا ومحبنا الفقيه الأديب سيدي أحمد بن الشمس، خليفة الشيخ ماء العينين يوم الثلاثاء 20 محرم عام 1320هـ بمدينة فاس، أبياتًا للفقيه العلامة سيدي مُحَنِّضُ بابيه الديماني، صاحب شرح "المختصر" المسمى بـ "الميسر" وغيره من التأليف:

وَضَحَ الْحَقُّ يَا لَبِيبِ فَسَلِّمْ إِنْ تَسْلِمَ الْحَقُّ فِيهِ سَلَامَةٌ
لَيْسَ مِنْ أَخْطَأِ الصَّوَابِ بِمَخْطُؤٍ إِنْ يُوْبُ، لَا وَلَا عَلَيْهِ عِلَامَةٌ
إِنَّمَا الْمَخْطُؤُ الْمَسِي: مَنْ إِذَا مَا وَضَحَ الْحَقُّ لَجَّ يَحْمِي كَلَامَهُ
حَسَنَاتُ الرَّجُوعِ تَذْهَبُ عَنْهُ سَيِّئَاتُ الْخَطَا وَتَنْفِي الْمَلَامَةَ
وَقَدْ شَطَرْتُهَا فَقُلْتُ:

وضح الحق يا لبیب فسلمه ولا تبتدع ولو بقلامه
واتركن المرء تسلم يقينا إن تسليم الحق فيه سلامة
ليس من أخطأ الصواب بمخط كلما بالهدى أنار ظلامه
لا ولا في الخطا عليه ذنوب أن يؤب، لا ولا عليه ملامه
إنما المخطئ المسيء من إذا ما ظهر الحق ناشرا أعلامه
صد عنه لكبره، وإذا ما وضع الحق لج يحمي كلامه
حسنات الرجوع تذهب عنه كل سوء ومحنة وظلامه
وترد الشقاء فوراً وتمحو سيئات الخطا وتنفي الملامه

هـ [146]

15 - أهل الحديث

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في مدح أهل الحديث :
أهل الحديث لهم على كل الوري فضل يصير من يسابقهم ورا
قد خصهم بدعائه لهم بحسن من وجوههم وبرحمة خير الوري
وكفاهم شرفا وفضلا كونهم خلفاء عند المدائن والقري

هـ [147]

16 - فخر

سمع سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني قائلا يقول : " من دار النبي
تعمرت كل زاوية، ومن نوره جميع الأنوار " فقال :
وكم من جليل رام أخذي لورده وظن صفاتي من حلى الفضل عارية
فقلت له : عرج بنا؛ تنل المنى فمن دارنا قد غمرت كل زاوية

هـ [148]

17 - لم أجد للخلاص سبيلا

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يذكر المناسبة :

رُبَّ شَخْصٍ يَرُومُ نَيْلَ وَدَادِي وَفُؤَادِي عَلَى الْمَدَى مِنْهُ نَافِرٌ
لَمْ أَجِدْ لِلْخِلَاصِ مِنْهُ سَبِيلًا فَتَمَنَيْتُ أَنْ رَاهُ مُسَافِرًا

هـ [149]

18 - العيادة

وقال سيدي عبد الرحمن الكتاني دون أن يذكر المناسبة:
لَقَدْ شَرَعَ الرَّسُولُ لَنَا الْعِيَادَةَ فَكَانَتْ لِلوَرَى نِعْمَ الْعِبَادَةُ
فَعُدُّ أَهْلَ الصِّفَا وَالْفَضْلِ أَمَا إِذَا احْتَجَبَ الْمَرِيضُ فَلَا عِيَادَةَ!

هـ [150]

19 - لازم اتقاء الله

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني واعظًا:
لَازِمٌ، هُدَيْتَ، انْقَاءَ اللَّهِ جَلَّ عُلَا وَلَا تُصِخْ لِعِذُولٍ فِيهِ أَوْ زَارٍ
فَعَنْ قَرِيبٍ يَجَازِي الْمُحْسِنُونَ بِإِحْسَانٍ وَبِالنَّارِ مَنْ وَافَى بِأَوْزَارِ

هـ [151]

20 - جدد وضوءك

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ناصحًا:
جَدِّدْ وَضُوءَكَ كُلَّمَا أَحْدَثْتَ وَارْكَعْ رُكْعَتَيْنِ
وَادْعِ إِلَهَهُ بِمَا تَرِي — دَتْنَلْ مَرَادَكَ دُونَ مَيِّنْ

هـ [152]

21 - النحاة

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ناصحًا أهل النحو:
أَيَا نَحَاةَ الْوَرَى كَفُّوا عَنِ الزَّلْزَلِ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ

ولتعلموا أنه لا شخص ينفعه إعرابه القول وهو لاحن العمل

هـ[153]

22 - تعلم

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ناصحا:
تعلم واثق الرحمن سرًا وجهراً كي على الشيطان تقوى
فما ضم الشريف إليه خيراً من العلم المضاف إليه تقوى

هـ[154]

23 - استصف خلك

وكتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني لابن أخيه سيدي محمد
الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة بتاريخ 20 شوال
عام 1331هـ فافتتح الرسالة ناصحا :

استصف خلك واستخلصه أهون من تبديل خل، فكيف الأمن بالبدل؟!
فأعجز الناس: خرضاع من يده صديق وُد، فلم يردده بالحيّل

هـ[155]

24 - تواضع

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "لكاتبه عفي عنه:
ومن سرّه أن يقدر الناس قدره فقد سرنّي أن لست في الناس ذا قدر

هـ[156]

الفصل العاشر

متنوعات

- 1 - مدح في سيدي علي بوغالب.
- 2 - رسالة شعرية إلى الشيخ جمال الدين القاسمي.
- 3 - جواب للقاسمي.
- 4 - دفاع عن الخطيب.
- 5 - تهنئة بتأليف كتاب.
- 6 - المسطرة.
- 7 - الابتهاج على نور السراج.
- 8 - دعاء.
- 9 - الشعراء.
- 10 - إبراهيم.
- 11 - استجازة الكتاني.
- 12 - استجازة دِينِيَّة.
- 13 - تقرّظ "مناهج الخلاص".
- 14 - الفأر.
- 15 - لغز عثمان.
- 16 - لغز أبي العباس الهلالي.
- 17 - لغز الإمام.

18 - لغز الشفع.

19 - لغز الهالكة.

20 - عزاء.

21 - الهموم [157].

1 - مدح في سيدي علي بو غالب

مرض سيدي عبد العزيز بن جعفر الكتاني بداء السل الذي أودى بحياته في الساعة الواحدة من ليلة الثلاثاء ثالث ربيع النبوي عام 1325هـ عن ثلاثين سنة رحمه الله، فطلب منه أن يكتب قصيدة في مدح الولي العالم سيدي علي بو غالب تيمناً به وطلباً من الله عزّ وجلّ أن يعجل شفاؤه. قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وليّ في مدح الوليّ الصالح الذي عمّ نفعه واشتهرت كراماته مولانا علي بوغالب، رضي الله عنه، أنشأتها على لسان أخينا الشريف العلامة النحرير مولانا عبد العزيز الكتاني، حفظه الله، عند حدوث مرض به:

بشّرْتُني ببلوغ الأمل	وشفائي من جميع العلل
وجهتي بالقلب والقالب في	دفع ما بي من عظيم الخلل
نحو باب وَضَحَتْ أنواره	وبدت أسراره في المِلل
بابِ طِبِّ القلب والروح أبي	غالب سيدنا المولى علي
معدن الإحسان والعرفان والمدد	الوافر والقدر العلي
منية الراغب مولي القصد ذي	الكرم الباهر والفخر الجلي
عن غلاه فلتخبّر بالذي	شئته لا تختشي من عدل
فهو بحر الفضل والجود وبدر	الهدى ينفي وقوع الزلل
وهو سرّ الله في دفع الذي	خفّته من ضرر عن عجل
لا يخيبُ المجتبي والملتجي	بفناه عند خطب جلل
فأنخ رحلك في أبوابه	وادعُ الله به ثم سل
فلنكم أعجز أهل الطب من	ألم داواه مولانا علي
كم أتى نحو حماء مُزْمِنٌ	عندما ظن بلوغ الأجل
وبه ألقى العصا يرجو الشفا	فكساه منه أسمى الحلل
كم مريض مستغيث باسمه	من بعيد فارتدى بالأمل
فهو للأمراض ترياق حلا	مثل ما يحلو شراب العسل
نفعه صار ضروريا لذي	كل ذي عقل خلا من خلل
فلهذا دائما حاف به	كل ذي ضر عظيم الوجل [158]
بخضوع وانكسار قائلا	مَدَدَ الله أمولاي علي

فبنفس القول يأتيه الشفا
يا ملاذي يا عمادي يا أبا
إنه قد عيل صبري ووهت
فقرعت الباب بالمدح وقد
لقصوري وانشغالي بالذي
فأغثنني بالدوا فوراً وجد
فالندى شيمتكم بل جودكم
بسليل المصطفى بحر الصفا
قطبنا مولاي إدريس وآ
سيما فاطمة الزهرا كذا
وبسر السر كل الكل من
صل يا ربّ عليه وعلى
وسلام يتوالى نوره

مسرّعاً من ذي الجلال الأزلي
غالب يا خير قطب وولي
مني القوى وبارت حيلي
عمني منك عظيم الخجل
ألزم القلب حصول الملل
بالمنى في الحال والمقتبل
ماله في قطرنا من مثل
معدن الجود الإمام البطل
بائه الغر العظام النحل
بعلها ذو الفخر مولانا علي
ليس يدري كنهه غير العلي
آله والصحب أهل العمل
آخر الدهر كما في الأول

هـ [159]

2 - رسالة شعرية إلى القاسمي

كانت لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مراسلات مع أدباء عصره منهم الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي. قال سيدي عبد الرحمن: "الحمد لله، وقلت الأبيات السريعة التالية كتبت بها إلى الشيخ جمال الدين الدمشقي:

أخرج أحمد بلا اشتباه
أن سليمان نبي الله
عن أي شيء أبرد وأحلى
وأي شيء أكثر وأنس
فقال في الجواب عن أحلاها
أبردها عفو الإله عن عبا
أنسها الروح تحل في الجسد
أقلها اليقين من دون مرا

في ذاك عن بكر بن عبد الله
سأله والده ذو الجاه
وأقرب وأبعد أقللاً
وأي شيء أوحش للأنسي
روح الإلاه في الورى أجلاها
ده وعفو بعضنا بعضا حبا
أوحشها الجسد إن لها فقد
أكثرها الشك وما فيه امترا

أقربها آخرة، أبعدُها دنيا من الأخرى ثمان عدها
أورده الحافظ ذو التمكين شيخ المشايخ جلال الدين
في دره المنشور عند ذكره "وكلا آتينا" فحد عن نكره

فأجاب القاسمي بعد الافتتاح بما نصه: "تناولت بيد التكريم كتابكم الكريم،
في أيمن ساعة وأحلاها، وأعز فرصة وأغلاها، ورد علي ورود الحبيب، على حين
غاب الرقيب، وطلع علي طلوع العافية، على من طال ضناه حتى نال أمانيه، فأهلاً
به وافد مشرق، يخطب للمغرب المشرق، لا بل يجذب الأرواح، إلى تلك البطاح،
ويملك بلطفه الأبواب، إلى مخيم ذلك الجنب. ماذا أقول في نعمته، وبأي لسان
أترجم عن بديع سمته. لعمر الحق إن اللسان كليل، دع عنك إن الفكر عليل، فلو
أمطرنا البلاغة بالطل والوابل، وهبطت علينا الفصاحة من روح سبحان وائل، لما
كنا إلا في دائرة القصور، عن محاكاة غرر تلك القصور، سيما تلك الأبيات
الأبيات، والمنظومات النظميات، التي رام اليراع أن يحاكيها، فأشفق أن يفوته
الشنب، إلى أن أيقن أن جهد المقل محفوف بأجنحة القبول عند أولي الأدب،

فقال: [160]

يا من سما في العلم أمثاله
وبرهننت آثاره عندنا
ما فوق ضوء الصبح من حجة
هنأتنا بنظم درّ جلا
فهزنا شوقاً لأدابه
فكم تناجي الروح روحاً كما
حياك ربي من أخ صادق
كذا ينال الفضل بين الملا
وهل يجوز القدر إلا فتى
يصابر الدهر ويطوي به
والجِدُّ دَيَّانٌ لأربابه
فحبذا من كان ذا همة
وفاق في الآداب أشكاله
أن أبواب الفضل ما ناله
إلا لأعشى لا يرى حاله
من كرم السيد أفضاله
وإن حكى بالروح تمثاله
يمثل القائل ما قاله
تؤيد الأفعال أقواله
من رافق التوفيق أعماله
يهتم للمجد ويسعى له
رواحل العزم وترحاله
يكتال للمرء بما كاله
يرصد للعرفان أكماله

هـ [161]

3 - جواب القاسمي

لما وصل الكتاب السابق من الشيخ القاسمي لسيدي عبد الرحمن، قال: "وأجبتة عنه بكتاب منه قلبي: ولما ثمل الفكر من صرف وصيفه، وطرب بما يشاهده فيه من جليل الحسن ودقيقه، أنشد قائلًا، وإن كان في درجة القصور مقيمًا وقائلًا:

أهذه دررٌ في النحرِ مُشرقةٌ أم الدراري لدى العلياء مُشرقةٌ
 أم تلك شمس الضحى قد زاد رونقها أم تلك ليلى على العشاق مشرفة
 ترنو إليهم بالحاظ وتمنعهم بالوصل وهي من الواشين مشفقة
 أم ذاك روض به الأزهار باسمه قد جاده الغيث والأشجار مورقة؟!
 لا بل كتاب به الآداب قد جمعت فغيره نكراتٌ وهو معرفة
 قد أشرقت شمسُه على المغارب من شرقٍ كشمس تَبَدَّتْ وهي بارقة
 لكنها إذ رأت أنوارها خجلت وبان لي أنها من ذاك فارقة
 خافت على عيشها من ذاك فاستترت وأرسلت أدمعًا كأنها رِقةٌ
 وكيف لا والذي أبدى محاسنه صلاه عند ذوي الآداب نافعة
 ذاك الإمام الجمال القاسمي الذي أوصافه عند ذي الإنصاف فائقة؟
 أبقاه مولاه محفوظًا ودام كما له به ألسن المداح ناطقة

هـ [162]

4 - دفاع عن الخطيب

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وقلت مخاطبًا مدير بعض الجرائد حيث شنع على من خطب بالتحذير من موالة الكفار، ومجانبتهم، ومباعدتهم في السكنى، وبتحريم دخول المدارس التي أحدثوها لقراءة علومهم ما نصه:

بيس الذي قلت في شأن الخطيب، وُقي ضيرا
 ولنعم ما قد قاله فجزاه رب العرش خيرا
 لكن تحكم فيك حب الكفر لهما كنت عيرا

فرتعت في وادي الضلا ل، وسرت يا ذا اللؤم سيرا
وحسبت أنك صادع بنصيحة وأتيت غيرا
فاستغفرن مما جنيت الغافر الغفار غيرا
واضرع إليه بتوبة لا تتركز النفس حيرى
هذي نصيحة كل ذي نفس على الإسلام غيرى
فلئن قبلت نصيحتي فورا وقلت: نعم وجيرا
فلقد رشدت لدى الحيا ة ونلت عند الختم خيرا

ها [163]

5 - تهئة بتأليف كتاب

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مهنتا أحد الأفراد بالانتهاء من تأليف كتاب له:

يا أيها البحر الذي ماله في عصره مشابة حاله
شرفتنا بهذا الكتاب الذي ما أحد أحكم منواله
فلو أبو القاسم⁽¹⁾ أبصره لهام وجدا به بل هاله
لا زالت تهدي من يراكم ما فاق ياقوتا وأشكاله
ولا برحت في سماء العلا بدرا منيرا لا نظير له
لك الهنا بالعيد، بل مثلكم به الهناء العيد قد ناله
فاسلم ودم في نعمة وسنا مع سناء نلت إكماله

ها [164]

6 - المسطرة

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وواعدني بعض الأصحاب بإرسال مسطرة مع كتاب، فأرسل الكتاب دون المسطرة، فكتبت له:

(1) يعني: أبو القاسم الحريري.

يا أيها الخِل الذي أوصافُهُ عند الأحبة في القلوب مُسَطَّرَةٌ
هلا وفيت لنا بوعد سابق هذا الكتاب فأين أين المسطرة؟!
وعليكمُ مني سلام عاطر بعبيره كل البقاع معطرة

[165]هـ

7 - الابتهاج على نور السراج

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وكتبت إلى الشريف الفقيه
العلامة الأديب مولاي أحمد بن المامون البلغيثي أطلب منه نسخة من شرحه
لمنظومة المساري في آداب طالب العلم المسمى بـ "الابتهاج على نور السراج":
أيا مولاي أحمد؛ جئتُ أسعى لبابك كي تجود بالابتهاج
ففكري بالجهالة ذو ظلام وعندك سيدي نورُ السراج
محبك عابد الرحمن من لم يزل للعفو من مولاه راج

[166]هـ

8 - دعاء

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني داعيًا، وقد اشتكى من شدة برد
فاس في الشتاء وشدة حرارتها في الصيف:
رَبِّ قَنِي أَلِيمَ هَذَا الْبَرْدِ وَنَجِّنِي مِ كُلِّ شَيْءٍ يُرْدِي
وَهَبْ لِي الْحَرَّ إِذَا الْبَرْدُ أَتَى وَهَبْ لِي الْبَرْدَ إِذَا الْحَرُّ عَنَّا
وَلْتَكْفِنِي ضَرَّهُمَا جَمِيعًا وَوَالْنِي خَيْرَهُمَا سَرِيعًا
وَاشْفِ الَّذِي اسْتَقْرَبَنِي مِنَ الْمَرَضِ وَوَالْنِي يَا رَبَّنَا كُلَّ الْغَرَضِ
بِحَاجَةِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ أَحْمَدًا صَلِّ عَلَيْهِ مَعَ سَلَامٍ أَبَدًا

[167]هـ

9 - الشعراء

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مدافعا عن الشعراء: الحمد لله؛

وقلت هذه الأبيات على شبه الارتجال سنح بها الخاطر في الحال:

وا رحمةً للسادة الشعراء ما ذا يلاقي شِعْرُهُم من داءٍ
قد صار يسرقه الجهول ويدعي ويقول: إني أشعر الشعراء
والنحو لا يدرية ثمت إن غدا متكلِّمًا تَرَهُ بلحنٍ جاءٍ
وإذا تقول له: انكفف عن ذا يقول لمن رأى هذا: من الجهلاء
مني السلام على القريض وأهله حيث ادعاه ابن اللبون النائي
أو ما درى أن القريض على الأنا م محرمٌ إلا على الأدباء
العاريين بكل معنى جيد بيد ووجه مليحة وسناء
لا يسرقون الشعر من ورق ولا ترضى نفوسهم بهذا الداء
تباله ولشعره ولما ادعى ولما به يأتي من الأشياء
فاله يهديه ويصلح باله إن تاب للرحمن دون مرء

[هـ 168]

10 - إبراهيم

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "الحمد لله في "إبراهيم" سبع لغات نظمها بقولي:

ولغات إبراهيم دونك عدها تثلث هاء، واقتصرن، أو مدها
ويقال: أبرهم بلا ألف بُعيد الرا، وفتح الهاء، سبعا عدها

[هـ 169]

11 - استجاسة الكتاني

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: ولكاتبه طالبًا إجازة من الفقيه القاضي أبي محمد عبد الله ابن خضراء السلاوي:

حمدا لمن يجيزم قصده بنيانه على التقى شيدته
سبحانه رفع قدر الذي بالعلم والإخلاص قد عبده
ولم يزل برًا حفيًا به ينيله مما رجي مقصده

ثم صلاة الله يعقبها من السلام كله أرشده
على النبي المصطفى من به كل كمال رينا أوجدته
وآله وصحبه الفضلا وتابع رخصا وما شيدته
ما قد أجز طالبا بالذي عن الثقات الشيخ قد أسنده
ويعد فالإسناد أولى الذي به اعتنى مَنْ رَبُّهُ سَدَّه
لكونه من دين خير الوري وهو عماد للذي أوجده
خص به ربّ الوري أمة المختار من بذكره أيده
لذاك أمّ بحر الفضلا وكم كبير قدره وَرَدَّه
وأنفق العاقل في دركه درهمه المنقوش بل عسجده
وقد أثبت طالب الإذن في إسناد ما قد أوضحوا سنده
من عالم العصر ومصباحه من حاز فضلا طالما نضّده
قاضي الجماعة بفاس الذي بيت العلا بِرَبْعِهَا شيدته
كم حاز من فخر ومن رفعة ومن سنا ليل الردى شرده
أعني الإمام عابد الله مَنْ إلى سلا نَسَبُهُ أوردته
لا زال محفوظا معافى من الأسقام موقى شر من حسده
في الدين والدنيا وقى أهله وفي الأحبة ومن ولده
فمُنَّ بالمطلوب يا أيها المالك من كل هدي أسعده
واذكر أسانيدك في كل ما رويت يا ذا الفكرة المفردة
وعين الوقت لنا إن تكن مسلسلات عندكم مسنده
أبقاكم الله ملاذًا لنا وبكم دين الهدى جدده [170]
مني على علياكم كلما ليل الهوى صبغ الهدى طرده
أزكى سلام عاطر نُشِرُهُ لا يستطيع أحد عدده

هـ [171]

12 - استجازة دينية

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "ولكاتبه على لسان صاحبه الفقيه الطالب سيدي عبد الرزاق ابن البركة سيدي عمر دينية الرباطي، حفظه الله بمتّه،

يستدعي الإجازة من سيدنا الوالد:

أيما مولاي؛ جئْتُ أَسْعَى لبابِكَ طالبا منك الإجازة
فمُنَّ بها ولا تُمَطِّل، فإنِّي عزمْتُ على الترحُّل والإجازة

هـ[172]

13 - تقرّظ "مناهج الخلاص"

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني سنة 1326 هـ مقرّظا كتاب "مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص" للإمام أبي الحسن علي بن مسعود اليوسي نشرًا ونظمًا، والنظم قوله رحمه الله من بحر الخفيف:

مبتغي الفوزَ حينَ غيرَ مناص دُم على ذكرِ كَلِمَةِ الإخلاص
فهني حِصْنٌ وملجأ للبرايا فاز مَن حَلَّه بنيل الخلاص
واستنار الفؤادُ منه بأنوا ربها ينتفي ظلام المعاصي
فاجتلى قهوة المعارف منها بسنا فكر عارف غواص
فاستبانَت منه معالم أسرا ر لها قبل ذا عليه تعاصي
فامتطى صهوة الكمال إلى أن حصَّل أعلى مقام أهل اختصاص
ناظرا أن مَن سواه تعالى عَدَمَ طولَ دهره في انتقاص
وهو لا غير ذو الوجود فطلَّ مِن ندى وبَل جوده ذو امتصاص
هكذا هكذا تكون المعالي فالتزم ذكرها بدون محاص
وإذا كنت قاصراً عن مداها فلتسامر مناهجا للخلاص
سِفْرُ علم أباهَا قد حوته من معان فما به من خصاص
للإمام له المعارف تُنمى إذ أطاعته وهي ذات اعتياص
يكشف اللبس عن عويص إذا ما وقع الناسُ منه في حاص باص
ذاك ذو الفضل سيدي الحسن اليو سيَّ من خص بإسناد البواص
نصر الله من كسى حلة الطبع بعد عزة ومناص
ذاك سلطاننا إمام المعالي مَن تغذى منها بخير مجاص
وأنت نحوه الخلافة تنقا د كما شاده بدون انحياص
هو من دان كل غال لعليا ه كما انقاد طائعا كل عاص

هو فخر المملوك سيدنا عبد الحفيظ الذي له المجد قاص⁽¹⁾
 معدن العلم والجلالة والعز فما عنده امرؤ متعاصي
 دام يحمي شريعة المصطفى مَنْ كل ما شاء بالقنا والرصاص
 وصلاة مع السلام عليه ما انتهى مقصد بحسن خلاص [173]

14 - الفأر

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "الحمد لله، بينما نحن بالدار
 العلية ليلة عيد المولد عام 1322هـ وثب فأر من ناحية الفقيه الزريعي، فتعجب
 الحاضرون من وجود الفأر هناك، فأنشدت عند ذلك:

جرى فأرٌ لدى الدارِ الرفيعة حذاراً أن تُسدَّ به الذريعة
 فقلت لمن تعجَّب منه: دعه فعادته ملازمةُ الزريعة

ولما ذكرتُ ذلك لصاحبنا ومحبنا العلامة الأديب الصوفي أبي محمد سيدي
 عبد الله ابن الأديب، خليفة شيخنا دام علاه بمراكش الحمراء، ذيلها بيت وهو:
 فمنها ما يوافقُه غداء ومنها ما يوافقُه شريعة

هـ [174]

15 - لغز عثمان

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ملغزاً عن اسم عثمان: "الحمد لله،
 لكاتبه مخاطباً لبعض المكيين القادمين على حضرة فاس:

أنعم صباحاً يا أديب الزمان ودم بخير سالماً في أمان
 ما اسمٌ ترى بالعين أحرقه خمساً إذا ما برزت للعيان
 حتى إذا أسقطت أولها بقى منه بعد ذاك ثمان
 فاعمل الفكرة كيما تُجب عنه سريعاً يا أديب الزمان

هـ [175]

(1) أي: متصل كثير. مؤلف. وقد تؤخذ بمعنى القاصي البعيد المنال. مصحح.

16 - لغز أبي العباس الهلالي

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت مجيباً عن لغز أبي العباس الهلالي المشهور، ونصه:

يا أيها المبرِّزُ المبرِّزُ لِمَا اختفى، والجامعُ المُحرِّزُ
ما مُضمِّرُ رفعه مُضمَّرٌ مستتر فيه ولا يبرز؟
إياك أن يخفى عليك وقد أبان حُبَّاءُ لكل المُلغز
ونص جوابه:

جوابَ هذا اللغز خُذْهُ على نهج الصواب أيها المُلغزُ
إياك في التحديد وهي ضمير رفعت آخر لا يبرز

هـ [176]

17 - لغز الإمام

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت ملغزاً في مسألة فقهية:
يا حافظ المذهب أعربْ لنا عن صورة تحار فيها الفكر
عن مقتد زالت عمامته فبطلت عليه مع من حضر
وأجبت عنه بقولي:

ذا مقتد في جُمُعةٍ ماسحٌ على عمامةٍ لأجل الضرر
وبينما هو بأثنا الصلاة سقطت، وهو ثاني عشر
فانتقض الوضوء إذ سقطت فبطلت عليه مع من حضر

هـ

* الضمير يعود على الصلاة المفهومة من قولنا: مقتد. [177]

18 - لغز الشفع

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت ملغزاً في مسألة فقهية:
أيها العالم بالفقه أجبني عن بيتٍ كعقد قد نُظِمَ

أيُّ وتر سبق الشفع، وصحّا جميعاً، بجواب قد نُظِم؟
وأجاب عنه الشريف الفاضل سيدي علي الدمناتي بما نصه:

وأهلّ بالشفع وترا واقتدى به مسبوق له الفصل عُلِم
فاتت الأولى وثانيها، بِذا أهل فاس لَغَزُوا لَغْزاً مهم

هـ [178]

19 - لغز الهالكة

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "لغز في مسألة فقهية لكاتبه حفظه
الله:

أفيدوا معشر الفقهاء شخصاً جواباً كامل المبنى بديعاً
فتاة أمها هلكت فقلنا بفسخ نكاحها والزوج بيعاً
جواب له أيضاً:

أيا من فكره ملك البديعاً فأودعَ نظمه منه البديعاً
جوابك: أن هذا الزوج رق لمن هلكت لذا بانت وبيعاً

هـ [179]

20 - عزاء

كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة لأخيه
سيدي محمد بن جعفر الكتاني بتاريخ يوم الأربعاء 2 جمادى الثاني عام 1329هـ
واصفا أوضاع المغرب وما آلت إليه من تدخل المستعمر الفرنسي في شؤونه
واستهلها بهذين البيتين:

غَرَبَتْ شَمْسُ مَغْرِبٍ وَمَحَتْ نَوْرَهُ الظُّلُمُ
جَبَرَ اللهُ كَسْرَهُ وَجَلَا عَنْهُ مَا أَلَمَ

هـ [180]

21 - الهموم

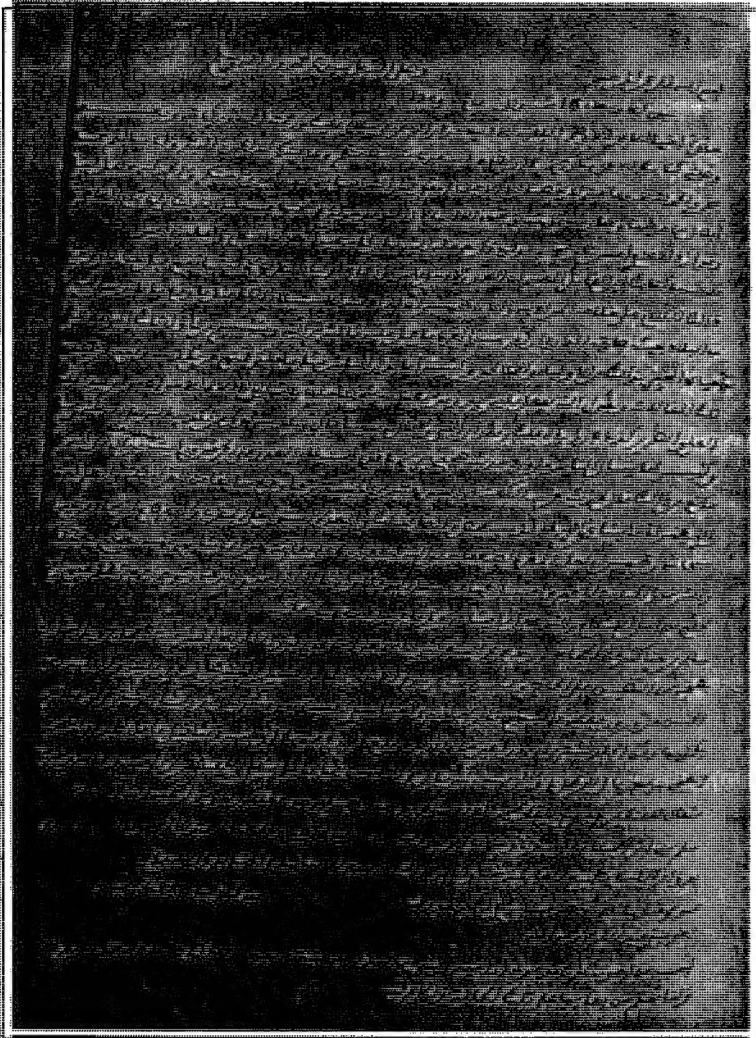
تكاثر الهموم على شاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني وألمه على
بلاده، فأنشأ هذين البيتين معزياً بهما نفسه، ويظهر أنهما آخر ما كتب من شعر.
يوجد هذان البيتان في آخر كناشته، رحمه الله، قال: ولكاتبه عفا الله عنه:

أما داء الهموم شعري فما له بعد ذا حياة
كأن ما أبتغيه منه من البلا أعظم رفات

ها[181]

ملحق

نموذج من خط سيدي عبد الرحمن الكتاني وهو رسالة أرسلها لابن أخيه
العلامة محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة
بتاريخ 18 شوال 1329 / 1911.



فهرس المحتويات

3 مقدمة المصحح
7 مقدمة جامع الديوان
8 1. تعريف بالشاعر
13 2. مقتطفات من نثره
18 3. ديوان سيدي عبد الرحمن الكتاني
20 4. تراجم سيدي عبد الرحمن الكتاني

الفصل الأول

تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي

29 تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي
----	-------------------------------------

الفصل الثاني

الحسام المنتضى المسنون

37 الحسام المنتضى
----	----------------------

الفصل الثالث

الجوهر النفيس في النسب الكتاني النفيس

47 الجوهر النفيس
47 "الجوهر النفيس في النسب الكتاني النفيس"
48 المقدمة
51 ذكر الفرع المحمدي الكتاني
61 ذكر الفرع الأحمدي الكتاني
68 ذكر الفرع المكناسي الكتاني المنقرض، ورفع عمود الشرفاء الكتانيين
71 الخاتمة

الفصل الرابع

مدح الرسول ﷺ وآل بيته الكرام ومدينته العامرة

- 1 - قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم 77
- 2 - قصيدة في ختم شمائل الترمذي 77
- 3 - قصيدة في مدح السيدة فاطمة، رضي الله عنها 79
- 4 - إظهار ما بطن من حب الوطن 81

الفصل الخامس في والده وبعض أقربائه

- 1 - سلام على الوالد 87
- 2 - قصيدة في مدح والده 87
- 3 - تقرّظ أول لكتاب "إعلام أئمة الأعلام" 88
- 4 - تقرّظ ثانٍ لكتاب "إعلام أئمة الأعلام" 89
- 5 - تاريخ أول لوفاة والده 91
- 6 - تاريخ ثاني لوفاة والده 91
- 7 - رثاء والده 91
- 8 - عتاب لابن الأخ 93
- 9 - سنده عن سيدي عبد الكبير الكتاني 94
- 10 - مدح في ابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني 94
- 11 - دعوة لابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني 95
- 12 - تهنئة بالعودة من الحج لابن عمه سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني 95
- 13 - رسالة شعرية للشيخ عبد الحي الكتاني 96
- 14 - مواساة 97

الفصل السادس

في أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني

- 1 - رسالة شعرية لأخيه 101
- 2 - تشطير قصيدة ابن المحب 102
- 3 - إجازة نظمية 105
- 4 - فلا زلت محروس الجنب 106

- 5 - ما لي على هجر الأحبة من جلد 106
 6 - أتيت حمى محمد بن جعفر 107
 8 - تقرّظ كتاب "النصيحة" 107

الفصل السابع

في الشيخ ماء العينين الشنحيطي

- 1 - ترحيب أول بالشيخ ماء العينين 113
 2 - ترحيب ثان بالشيخ ماء العينين 115
 3 - رسالة إلى الشيخ ماء العينين 116
 4 - تاريخ أول لتأسيس زاوية الشيخ ماء العينين بفاس 117
 5 - تاريخ ثان لتأسيس زاوية الشيخ 117
 6 - إهداء للشيخ ماء العينين 117
 7 - تقرّظ "سهل المرتقى" و"المفاضل النورانية" 118
 8 - تقرّظ "إظهار الطريق" و"قرة العينين" 119
 9 - تقرّظ "دليل الرفاق" 120
 10 - تقرّظ "تبين الغموض" 121
 11 - تقرّظ "مغري الناظر" 122
 12 - تقرّظ "ثمار المزهري" 122

الفصل الثامن

في الشيخ أبي العباس أحمد بن الشمس

- 1 - مدح الشيخ أحمد بن الشمس 127
 2 - نفس المعنى 128
 3 - جد لي بما أرجوه 129
 4 - تهنئة بعرس 130
 5 - الشيخ أحمد الشمس وسلا 131
 6 - هدية للشيخ أحمد بن الشمس 131
 7 - تقرّظ "النفحات" 131
 8 - طال شوقي لمحيّاك 132

الفصل التاسع

في المحبة والحكم

- 1 - رشف زلال المدام من كؤوس لذيد الملام 135
- 2 - تخميس 137
- 3 - هات لي صدقة 138
- 4 - قلبي لك من دون مشارك 139
- 5 - فإن تسأليني 139
- 6 - قد كنت أحسب أن الشمس واحدة 139
- 7 - قال لي من شكوت حالي إليه 140
- 8 - وعد الحبيب بوصله 140
- 9 - رب مليحة جاءت بوصل 141
- 10 - تمكنت من فؤادنا محبتكم 141
- 11 - تجلى حبيبي 141
- 12 - كتاب في سرائره سرور 141
- 13 - يا من تَرَحَّلَ 142
- 14 - وضع الحق 142
- 15 - أهل الحديث 143
- 16 - فخر 143
- 17 - لم أجد للخلاص سيلا 143
- 18 - العيادة 144
- 19 - لازم اتقاء الله 144
- 20 - جدد وضوءك 144
- 21 - النحاة 144
- 22 - تعلم 145
- 23 - استصف خلك 145
- 24 - تواضع 145

الفصل العاشر

متنوعات

- 1 - مدح في سيدي علي بو غالب 149
- 2 - رسالة شعرية إلى القاسمي 150
- 3 - جواب القاسمي 152
- 4 - دفاع عن الخطيب 152
- 5 - تهئة بتأليف كتاب 153
- 6 - المسطرة 153
- 7 - الابتهاج على نور السراج 154
- 8 - دعاء 154
- 9 - الشعراء 154
- 10 - إبراهيم 155
- 11 - استجازة الكتاني 155
- 12 - استجازة دينية 156
- 13 - تقرّظ "مناهج الخلاص" 157
- 14 - الفأر 158
- 15 - لغز عثمان 158
- 16 - لغز أبي العباس الهلالي 159
- 17 - لغز الإمام 159
- 18 - لغز الشفع 159
- 19 - لغز الهالكة 160
- 20 - عزاء 160
- 21 - الهموم 160
- ملحق 162
- فهرس المحتويات 163